رشق البنات بالبلح

(قصص للطلائع)

فؤاد حجازى

الهيئة العامة لقصور الثقافة
إقليم شرق الدلتا الثقافى
إبداعات شرق الدلتا

رئيس مجلس الإدارة
الشاعر / مصطفى السعدني
رئيس الإدارة المركزية لإقليم شرق الدلتا

مدير التحرير
إبراهيم جاد الله

سكرتير التحرير
علاء الدين عبد الحليم

المسئول المالى والإداري
محمد السايس

الإخراج الفنى والغلاف
الفنان / أحمد الجناينى

الإهداء

إلى حفيدتى ..

خلود إيهاب فؤاد ..

وتشرق عليك شمس الغد ..

ومصر أكثر حرية ..

وفلسطين عربية ..

والناس فى مصر .. سواسية ..

وأنتِ مثل القمر ..

وصحارينا خُضرة ..

وشعوبنا العربية فى وحدة ..

وعفيـــــة .

جـــدو



رشق البنات بالبلح

كان الأخوة ، حسن وتامر وميادة ، يلعبون عند النخيل فى حقلهم لعبة الاستغماء ، وقد انضم إليهم سامي ونادية ، ابنا زارع الحقل المجاور .

توارت نادية خلف ثلاث نخلات متجاورة ، فى جانب من الحقل ، وأسرع خلفها الباقون ، عدا حسن الذى تظاهر أنه لا يعرف مكانهم ، ودار حول النخيل لمفاجأتهم .

أوقفه رجل وناوله ورقة لإعطائها لأبيه .

انطفأت فرحة اللاعبين ، وخرجوا من خلف النخيل ، يستطلعون ..

قال حسن وهو يلوح بما فى يده :

- مفتش من الجمعية الزراعية أعطاني هذه الورقة .

سألت نادية :

- ماذا بها .. ؟!

تجمعوا حول حسن ، وهو يدور بعينيه على سطورها . رفع رأسه عن الورقة وقال :

- تلاحظ وجود العديد من السوسة الحمراء فى نخيل حقلكم . وسنقوم برش النخيل بالمبيد يوم السبت القادم .

قالت ميادة :

- سيزعل أبى جداً .

- خلاص يا ميدو .. قطعوا النخل .

قالت ميادة :

- يا بني الحكاية معروفة .. رشوا النخل فى القرية التى قبل قريتنا .. وبعدها بقليل تكاثر السوس ثانية .. فقطعوا النخل ودفنوه .

قال سامي :

- أولا .. لست ابنك .. وثانيا ..

قاطعه تامر :

- حزن أبى عندما علم بقطع النخيل

وقالت نادية :

- تلاقيه كان مثل واحد صاحبنا .. يسبقنا عند خروجنا من المدرسة .. يطلع نخلة ويرشق البنات بالبلح .

قال حسن :

- تأدبى يا نيدو ..

قال سامي :

- يا جماعة خلونا فى المهم ..

قال تامر :

- هذا النخيل عزيز عند بابا .. فجده هو الذى زرعه .. ويحمل رائحته كما يقول وعلينا أن نفعل شيئا .

قالت ميادة :

- فلننتظر حتى نرى نتيجة الرش ..

قال حسن :

- هل ننام فى العسل من اليوم الثلاثاء حتى موعد الرش .. ومن يعلم هل سيفيد أم لا ..

سألت نادية :

- هل عندك طريقة أخرى للقضاء على السوس ..

نظر حسن إليها فى حيرة .

قال تامر :

- بنت عمنا شيماء طالبة فى كلية الزراعة فلنسألها ..

وقالت نادية :

- عند بابا نشرات إرشادية من معهد البساتين ..

قال حسن :

تامر يسأل شيماء .. ونادية وسامي يذهبان إلى معهد البساتين

.. وسأذهب مع ميدو إلى بابا ..

واتفقوا أن يلتقوا فى نفس المكان بعد العصر .

وكما توقعت ميادة ، حزن الأب عندما قرأ الورقة ، وقطب جبينه ، وحاول حسن التخفيف عنه بالقول أن الرش قد يقضى عليه .. وإذا لم يفعل فلا شك هناك طرق أخرى ..

قال الأب :

- حتى نهتدى إلى طريقة أخرى .. تكون الحشرة قد حفرت فى جسم النخلة وأتلفتها .

وفى الموعد المحدد اجتمعوا عند النخيل فى الحقل .

قال تامر :

- وعدت شيماء أن تسأل أستاذها ، وستخبرني بالنتيجة غداً .

وقال سامي :

- طلب الباحثون فى معهد البساتين طرف خيط يبدأون منه.

قالت ميادة ساخرة :

- وزعوك يا أبله .

قالت نادية :

- ولماذا لا نطاوعهم . ألم تلاحظوا أن السوسة أحياناً تموت دون رش .

قالت ميادة :

- وماذا فى هذا يا مطاوعة ؟!

ردت نادية :

- لابد من سبب لموتها يا غبية .

قال حسن :

- اجمعى بعض السوس الميت وخذيه إليهم .

وقبل انصراف سامي ونادية لجمع السوس ، اتفقوا جميعا على اللقاء عصر الغد . وفى معهد البساتين ، سلم سامي ونادية السوس لأحد الباحثين . وهما ينصرفان، قالت نادية :

- عندى احساس أن هذا الباحث سيلقى السوس فى الزبالة فور مغادرتنا .

قال سامي :

- عملنا الذى علينا .

اعترضت نادية :

- لماذا لا نخبره بفكرتنا .

عادا إلى الباحث ، وقالت نادية :

- لو استطعنا أن نعرف سبب الموت ، ربما أفادنا ذلك فى القضاء على باقى السوس . تمعن الباحث فى كلامها ، وبعد قليل هز رأسه وقال :

- عودا غداً .

فى الخارج التفتت نادية إلى سامي مهللة وقالت :

- كفك

ناولها سامي كفه الأيمن ، فضغطت عليه بحرارة .

وجاءت شيماء إلى بيت حسن وأخبرتهم أن أستاذها طلب بعض الحشرات التى يتلاحظ وجودها على النخيل أو على المزروعات الأخرى فى الحقل .

تبادل حسن وميادة وتامر النظرات .. وحين وجد حسن ميادة متحفزةً للكلام ، عاجلها :

- ها .. يا أم لسان طويل .. زحلقة أخرى .

واحتجت ميادة ، أنها لم تفتح فمها ، ويؤكد حسن أنه يعرف ما ستقوله قبل أن تنطق . تدخل تامر :

- بالتأكيد الأستاذ عنده سبب .

وخرجوا لجمع الحشرات المطلوبة .. وطلبوا من شيماء أن توافيهم فى الغد عند حقلهم .

وعصر اليوم التالى حضروا جميعا عدا شيماء . قالت ميادة:

- موعد الرش اقترب ولم نصل إلى شئ .

قال سامي :

- أخبرنا الباحث فى الصباح أنهم توصلوا إلى الفيروس الذى يسبب وفاة السوس .

علقت ميادة ساخرة :

- يا فرحتى .

قالت نادية :

- صبرك يا ميدو ..

واستمر سامي :

- والمطلوب الآن الإكثار منه .

قالت ميادة بنفس لهجتها الساخرة :

- وما الذى يمنعهم .. ؟!

- يبحثون عن عائل يستجيب للفيروس ..

ردت ميادة :

- مت يا حمار .. حتى نجد ضيفا يرحب بالفيروس .

قطع النقاش ، وصول شيماء . فسألوها بلهفة عما عندها .

قالت شيماء :

- أبشروا .. وجدنا عدوا طبيعيا للسوسة الحمراء ..

وانتظرت حتى ترى تأثير كلامها على وجوههم ، واستمرت :

- الدودة الثعبانية ..

تبادلوا النظرات فى خيبة أمل ؛ وتمتموا فى سخرية ..

- الدودة الثعبانية .. ها .. ها ..

وقالت ميادة :

- يا بنتى هذه الدودة مزاجها رائق جدا .. تأكل على مهل .. وحتى تتغذى على بعض السوس .. يكون الباقى قد أتي على نخيل الحقول الأخرى .

قالت شيماء :

– دعوني أكمل كلامي يا جماعة .. الأساتذة يبحثون فى طريقة تجعلها شرهة .

وعادت ميادة إلى سخريتها :

– ينقلون إليها شراهة دودة ورق القطن ..

هللوا جميعاً وأخذوا يضحكون . وقالت شيماء :

– فكرة .. لماذا لا ..

وردت ميادة :

– انشاء الله سيشبعك الأستاذ تريقة ..

وبعد عدة أيام من رش النخيل بالمبيد ، حضر الأولاد والبنات ، وأخذوا يتفحصون فروع وجذوع النخيل .. تبادلوا نظرات ساهمة ، وجلسوا على حافة الحقل ، كما تعودوا .. السوسة الحمراء ، مازالت موجودة ..

وقال حسن :

– سيحضر عمال الزراعة فى أي وقت ويقطعون النخيل .

قال تامر :

– علينا أن نخبر بابا بما شاهدناه .

قالت شيماء :

– انتظروا حتى نرى نتيجة بحث الأستاذ .

وسألت ميادة :

– المشكل هو العمال .. كيف سنقنعهم بالانتظار ..

أطرقوا جميعا يفكرون .. وقال تامر :

- لنستعجل الباحثين .

واتفقوا على جمع يرقات دودة القطن ، والحشرات الأخرى ، وورق شـجرة القطـن والعنـب والمزروعـات فـى المنطقـة ، وتوصـيلها للباحثين، لعلها تساعد فى البحث.

وعصر اليوم التالى ، اجتمعوا عند النخيـل . قالـت شـيماء فـى فرح :

- أفاد الأستاذ أنهم سينقلون الجين (الـصفة الوراثيـة) الـذى يسبب شـراهة دودة ورق القطـن إلى الـدودة الثعبانيـة .. وستـصبح شرهة بالعند فيك ياميدو ..

وقال سامي :

- فى معهد البساتين استجابت يرقة دودة القطـن للفـيروس .. وسوف يكثرون منه ..

وتساءل تامر :

- متى يتم ذلك ..

رد سامي أنه يلزمهم بعض الوقت ، وكذلك أفادت شيماء أنهـم فى كلية الزراعة يحتاجون لأسبوعين أو ثلاثة ..

ولم تكد تتم كلامها ، حتى لمحوا عمال الزراعة فى بداية الطريق الزراعية ومعهم الفئوس .. ومنشار لقطع الأشجار .. دقت قلوبهم بسرعة .. وتبادلوا النظرات . قالت ميادة :

- فرحة لم تتم ..

وقال سامي :

- لابد من تعطيلهم ..

قال حسن :

- عندي حل .. نقطع الجسر على الترعة .. فيغرق الماء الأرض حول النخيل ..

لم يتحمسوا للاقتراح .. خشية أن يغضب ذلك والد حسن ، وباقى الفلاحين الذين يروون أراضيهم من هذه الترعة ..

اقترب العمال .. فنهض الأولاد والبنات فى عصبية .. تكاد الدموع تفر من عيونهم .

وقال تامر :

- لا حل آخر أمامنا .

وكأن حسن والباقين ، كانوا ينتظرون هذه الجملة ، فاندفعوا نحو الجسر ، وأخذوا يزيلون ما يعيق الماء عن التدفق..

وعندما أوشك العمال على الوصول .. كان الماء يسد عليهم الطريق .. فوقفوا برهة يتبادلون الكلمات مع مفتش الجمعية الزراعية بصحبتهم .. وبعد قليل استداروا عائدين .. تنفس الأولاد فى راحة .. وانصرفوا على مهل . قال تامر :

- أمامنا وقت كاف .. حتى يجف الماء .

وقال سامي :

- لن أنتظر .. غدا سوف أذهب مع نادية إلى معهد البساتين.

وفى المعهد قابلهما الباحث ببشاشة وقال :

- عندنا ما تحتاجه من الفيروس .

نظرت نادية إلى سامي فى فرح .

وفى كلية الزراعة أبلغ الأستاذ شيماء أن الدودة الثعبانية أصبحت شرهة بما فيه الكفاية .

لم تسع الدنيا شيماء من الإحساس بالنصر .

وقال الأستاذ :

- هناك مشكل .

غادر إحساس النصر نفس شيماء ، وحل محله خوف غامض وهي تسأل :

- ما هو .. ؟!

قال الأستاذ :

- أود التأكد أن شتلات العنب قبل زرعها فى هذه المنطقة ، قد عولجت لمقاومة هذه الديدان .

انصرف الأستاذ لإجراء محادثة تليفونية بوحدة البحوث بوزارة الزراعة ، بينما أخذت شيماء فى سرها تدعو أن تكون هذه الشتلات قد عولجت ، وإلا تعذر استخدام الدودة الثعبانية . فبعد أن تقضى على السوس سوف تستدير وتقضى على كرمات العنب ..

وحين حضر الأستاذ ، تطلعت إليه ، ونظرات القلق تطل من

عينيها .

قال الأستاذ :

- أبشرى ..

نهضت غير مصدقة ، وانطلقت لتزف البشرى ..

جفت الأرض بعد عدة أيام ، وأخذ الصحاب يتقافزون ويلعبون حول النخيل . ولم تفلح محاولتهم مع شيماء للاشتراك معهم . جلست عند جذع النخلة ترقبهم .. وحين لمحت قدوم مفتش الزراعة وعماله ، أشارت للاعبين بالحضور .

قال حسن بثقة :

- لا تفعلوا شيئا قبل فحص النخيل .

نظر إليه مفتش الزراعة ، وقال :

- لا نريد وجع دماغ .

نهضت شيماء ، وقالت :

- لو وجدت سوسة واحدة يبقى لك كلام .

نظر إليها المفتش فى غيظ ، وأشار للعمال الذين حملوا الفئوس.

تحلق الأولاد والبنات حول النخلة التى، أرادوا البدء بقطعها .

زفر مفتش الزراعة فى ضيق ، وأشار إلى أحد العمال قائلاً :

- هات لهم السوس حتى يقتنعوا .

تسلق العامل النخلة ، وأخذ يفحص جذعها ، وأوراقها .

نزل وقال :

- لا توجد سوسة واحدة .

تساءل مفتش الزراعة فى دهشة :

- ماذا تقول .. ؟!

رد العامل :

- افحص بنفسك .

تقدم المفتش من النخلة وصعد فوق كتفى أحد العمال ، وتفحص الجذع من أعلى ، وشد بعض السعف المتدلى ، ثم غادر هذه النخلة إلى أخرى ، ثم أخرى .

وقف حائرا ينظر إلي الأولاد والبنات فى عجب .

أخبروه أنهم أطلقوا الفيروس الذى حصلوا عليه ، على النخيل ففتك بالسوسة الحمراء . وأنهم استمعوا لنصيحة ميادة بإطلاق الديدان الثعبانية فى نفس الوقت ، فالسوسة التى لا تصاب بالفيروس ، تلتهمها الدودة الثعبانية .

تطلع مفتش الزراعة إلى أعالى النخيل ، وقد تدلت السباطات الخُضر . أشرق وجهه وقال فى نفسه : غدا تحمر .. ويعود الباعة ينادون .. أحمر وسكر يا حياني .

انصرف المفتش مع عماله ..

هلل الأولاد والبنات وساروا .. وقد تشابكت أيديهم .. فى الطريق إلى القرية .. وتناست شيماء أنها تكبرهم .. واندمجت معهم.

عودة اللقلق

كانت سامية وهدى وعلاء ، يمشون ساعة العصارى بين الحقول. رأوا أحد طيور اللقلق . لونه أبيض فى مقدمة جسده ، بينما يغطي اللون الأسود منتصف ظهره وذيله . ظنوه تائها عن سربه . لكن .. عندما اقتربوا منه لمحوا كسراً فى أحد جناحيه .

احتضنت هدى الطائر ، وفحصت جرحه .. وأخذت تهدئ من مخاوفه وتقلل من حركته .. وذهب علاء إلى القرية لإحضار مطهر .. وسرعان ما عاد به ومعه قطن ورباط من الشاش .

فردت سامية جناح الطائر المصاب ، فقارب المتر طولاً .. انتفض الطائر ، وأخذت هدى تطابق شطرى الكسر . بعد أن طهرته ، وأحاطته بالقطن . وثبتته بجسد الطائر برباط الشاس .. أحست بالطائر يتألم فى حضنها . فكت الرباط ، وعاودت فحص الجرح .. وجدت أن شطرى الكسر ليسا كما طابقتهما .

قال علاء :

– القطن لن ينفع يا دكتورة .. !

فردت هدي :

– لا نأخذ منك سوى السخرية ، لماذا لم تحضر شيئا صلباً يصلح جبيرة .

أخرسته العبارة ، وتطوعت سامية بالذهاب، وسرعان ما عادت بجبس طبى من الوحدة الصحية ، غمسوا فيه رباط الشاش بعد وضع قليل من الماء عليه ، ولفوا به جناح الطائر وثبتوه بجسده . ولم يمض وقت قليل حتى تصلب الجبس .

أوشكت الشمس على المغيب . قالت هدي :

– لن يبقى اللقلق فى حضنى طوال الليل .

قال علاء :

– نأخذه معنا ، ويبيت فى أي حظيرة دجاج .

قالت سامية :

– ربما جاءت وليفته وأفراخه للبحث عنه .

رد علاء :

– نبنى له عشا هنا .

قالت سامية :

– لن يكون آمنا فى عشه الأرضى ، إذا حضر ثعلب ، أو ذئب جائع .

ولحظوا أن نظرات الطائر باتت منكسرة ، ولم يعد يتطاول برقبته .. وأغلق جفون عينيه ، فى ذبول .

قالت سامية :

- من تأثير الجرح ..

وقالت هدي :

- ربما يفتقد عائلته ..

سأل علاء :

- كيف نشعره بالألفة .

ردت هدى :

- هل تذكران .. عندما كانت طيور اللقلق ، تقف على شاطئ الترعة ، بعد أن ترطب أجسادها بالماء .. وتروح ترقص، وتضرب بمناقيرها فى ايقاع ، كأنه عن خبط قطعتين من الخشب فى تنغيم .

فهم علاء ما ترمي إليه هدي ، أسرع مع سامية ، والتقطا بعض الأغصان الجافة . هذباها وقسماها إلى أربع قطع فى حجم منقار الطائر الطويل الأحمر ، وأمسك كل منهما باثنتين ، وأخذا يضربان فى إيقاع ، يكاد يقترب مما يفعله الطائر .

عدل طائر اللقلق من وضعه فى حضن هدي .. وأخذ يحرك عنقه .. ويفتح جفونه .

بعد أن اطمأنوا على الطائر ، وكان الليل قد دخل ، شرع علاء

وسامية فى جمع بعض الأغصان لبناء العش .

تلفتوا حولهم ، يبحثون عن مكان تتوفر فيه حماية طبيعية ، يبنون فيه عش الطائر .

لمحوا العم سعيد ، عند الساقية ، يروي أرضه ، وقد أشعل ناراً لعمل الشاى ، فأدركوا أنه سيسهر طوال الليل ، حتى ينتهي من الرى . قالوا فى نفس واحد :

- العم سعيد ..

أسرعوا إليه ، وأبلغوه بما اعتزموه من بناء عش بالقرب منه لملاحظته . تفحصوا المكان . وجدوا تجويفاً أسفل شجرة ، بالقرب من الساقية ، يصلح لهذا الغرض . وأحضرت سامية بعض الأغصان المورقة وأخفت مدخل العش عن العيون .

. وفى الصباح حضروا ، وطهروا جرح الطائر ثانيةً .

ووضعت سامية أمامه بعض السمك الطازج ، اشترته فى طريقها ، ، لكن الطائر لم يبد ميلا إلى الطعام .

قالت هدي :

- لعله يشعر بالقلق لغياب اللقالق عنه ..

تبادلوا النظرات فى حيرة وجذب انتباههم صوت محراث ، يقلب التربة فى الحقل المجاور لحقل العم سعيد ، الذى لحظ حيرتهم ، فقال لهم :

- حالا ستخرج الفئران من جحورها فزعة من سلاح المحراث ..

وتأتي اللقالق لالتقاط غذائها منها ومن الديدان التى تخرج من باطن الأرض ..

نهضوا فى فرح .. واحتضنت هدي الطائر ، كعادتها ، وأسرعوا إلى الحقل المجاور .. وضعت هدي الطائر على الأرض .. وسرعان ما رفرفت طيور اللقلق حوله .. وأخذت تهش بأجنحتها .. وتطلق صوتها الخشبى المنغم بخبط شقى مناقيرها .. واقتربت منه أفراخه ووليفته التى ناولته بعض ما اصطادته من فئران ..

واختفى القلق من عيون علاء وهدي وسامية ، حين رأوا اللقلق الجريح يتناول طعامه .

بعد فترة أخذته هدي فى حضنها ، خوفا على جرحه من أشعة الشمس ، وعادت به مع سامية وعلاء إلى العش.

وكانت فى أثرهم وليفة الطائر وأفراخه . دخلت الأفراخ إلى العش، بينما انصرفت أمها لتحضر مزيدا من الطعام .

الدلفين يلبى النداء

كان نادر وأخته سوسن يقضيان بضعة أيام من العطلة الصيفية مع أبويهما ، على شاطئ البحر الأحمر ، بعد أن اجتازا بنجاح امتحانات النقل فى المدرسة الثانوية . فى الصباح الباكر خرجا للنزهة على شاطئ البحر ، والتمتع بأشعة الشمس الهادئة . وصلا إلى البرج الخشبى ، الذى يراقب منه عامل الإنقاذ السابحين بالقرب من الشاطئ . لم يكن العامل قد حضر بعد . فكرا فى الصعود ، ومشاهدة منظر البحر من أعلى . تناول نادر منظاره المكبر ، وأخذ ينظر إلى الأفق . بعد قليل ناوله لسوسن . شاهدت أحد قوارب صيد السمك . أبلغت نادراً .

فجأة صاحت سوسن :

– القارب يدور حول نفسه .

تناول نادر المنظار ، ودقق النظر . قال :

- فعلا .

ودق قلبه بعنف وتساءل عن معني ذلك .

قالت سوسن :

- معناه أن القارب يغرق .

ولم تكد تكمل كلامها ، حتى كانت مؤخرة القارب تنحدر في المياه . وسرعان ما اختفى باقى القارب .

أمسك نادر بتليفونه المحمول ، وطلب من سوسن أن تعطيه مفكرة بها بعض أرقام التليفونات ، تحفظها فى حقيبتها . ذهبت سوسن إلى ركن حيث وضعت الحقيبة ، تناولت المفكرة وقذفتها باتجاه نادر . أخطأ نادر التقاطها ، وحملها الهواء خارج البرج . فى هوجة مد نادر ذراعية محاولاً الإمساك بها ، فأفلت منظاره ، وسمعا ارتطامه بحجر على الرمل .

ركن نادر بظهره على إفريز البرج ،لا يدرى ماذا يفعل، وهو يقول :

- مبسوطة .

صمتت سوسن قليلاً ، وقالت :

- اتصل بالاستعلامات واسألهم أن يخبروك بالرقم الذى تريده.

وبعد أن حصل عليه ، اتصل بإدارة ميناء مرسى علم وأخبرهم بما رأياه . طلب منه محدثه أن يحدد مكان الواقعة، فأبلغه أنها

حدثت فى صمداي ، فوق بيت الدلافين ، فى الشعاب المرجانية .

قالت سوسن :

- بيننا وبين مرسى علم حوالى ١٢ كيلو متراً .. وسوف يستغرق حضور النجدة بعض الوقت .

قال نادر :

- ألم تلاحظى عدم رؤية الدلافين وهى المشهورة بمساعدة الغرقى.. !!

أطرقت سوسن برأسها مفكرة . وبعد برهة قالت :

- إنها الآن فى مكان الراحة .

تعجب نادر من نفسه ..

- كيف فاته هذا الأمر .. ؟!

الدلافين بعد رحلة الصيد الليلية ، لا تعود إلى بيتها بين الشعب المرجانية ، حيث تتزاوج وتلد وترعي الصغار، ولكنها تذهب للراحة إلى قاع رملى ، غير عميق ، وآمن من الرياح والأمواج.

لكزت سوسن أخاها ، تحثه على الإسراع ، فالمنطقة ليست بعيدة. تخففا من ملابسهما عدا ما يستر عورتيهما، ونزلا سلم البرج فقزا سلمتين وثلاثا .. وجريا إلى الماء .

حين وصلا إلى القاع الرملى ، على عمق يتراوح بين ثلاثة وستة أمتار، وجدا الدلافين راقدة فى سكون وأعينها مفتوحة . اضطربت أجسادها قليلا .. وعندما تبينت أن القادمين ، ليسا من أعدائها ،

عادت إلى السكون ثانية .

حاول نادر وسوسن لفت انتباهها ، ولكنها ظنتهما يودان اللعب ، فلم تلق بالاً لهما .

دفعت سوسن جسدها فى الماء إلى أعلى وأسفل فى اضطراب ، كمن تغرق . وأشارت إلى نادر ، فأسرع إليها ، وأخذ يقطرها خلفه، كمن يسحب غريقا . تنبهت الدلافين وأصدرت أصواتا كالطقطقة ، فتجمعت بعض الدلافين ، وأسرع نادر وسوسن إلى السطح ، وأشارا إلى البقعة التى غرق فيها القارب، على البعد ، وعادا إلى الشاطئ .

شقت الدلافين الماء إلى المكان ، وغطست .. وجدت القارب الغارق ، مقلوبا على أحد جنبيه ، ويحاول من كانوا فيه الاحتماء خلفه ، وقد أمسكوا بعض الألواح الخشبية ، يصدون عنهم أسماك القرش التى أحاطت بهم ، وقد أهاجتها الدماء المتسربة من جراح بعضهم ، كما جذبها اللون الأبيض لبعض الملابس .

أصدرت الدلافين أصواتا كالصفير ، وأحاطت بأسماك القرش. أخذت تدقها بأنوفها القوية الحادة . راوغت أسماك القرش ، وزاغت، ثم عادت ثانية . أحاطت الدلافين بأحد القروش ، كان على وشك قضم ذراع رجل متشبث بالقارب ، وأخذت تنهش أعضاء القرش البارزة . أسرع القرش بالهرب ، وعندما رأت باقى القروش ما يتهددها ، وقد تكاثرت الدلافين حولها ولت هاربة.

أخذت الدلافين تدفع الأشخاص إلى أعلى . ومن كان ضعيفا من

أثر نزفه للدم دخلت تحته وحملته . وتشبث بعض الغرقى بذيولها الصغيرة، وأخذت الدلافين تسبح بهم فى اتجاه الشاطئ .

ورأي نادر وسوسن الساحين ، فقفزا فى الهواء مهللين .

وصل لنش الإنقاذ ، فأخذوا الناجين للذهاب بهم إلى مستشفى مرسى علم للعلاج .

وسبحت الدلافين المغزلية إلى جوار اللنش وخلفه بعض الوقت ، وهي تتقافز فى الهواء فى مرح ، تدور حول نفسها عدة مرات فى القفزة الواحدة ، ويخيل إليك أن الزعنفتين القصيرتين زعنفة واحدة من فرط السرعة ، وأظهرت أشعة الشمس على ظهورها الرمادية ، مدي انسياب ورشاقة حركاتها ، وأبانت زرقة البحر من تحتها بطونها البيضاء .

وسرعان ما عادت الدلافين ، قبالة سوسن ونادر على الشاطئ ، وأخذت تؤدي بعض حركاتها التى تشبه حركة المغزل، وترسل نظراتها الطفولية الحانية .. وتنساب بخفة فى الهواء .

اختفاء جزيرة النوارس

عندما نجح الأصدقاء عصام وسها ونرجس وعلى وأسماء وشعبان، فى امتحان النقل إلى السنة الثانية الثانوية ، عزموا على تنفيذ ما اتفقوا عليه .

استأجروا قاربا ، للنزهة فى بحيرة قارون ، وفى وسط البحيرة ، رسوا عند شاطئ جزيرة القرن الذهبى . ساروا قليلاً يبحثون عن مكان ظليل يضعون فيه حقائبهم ، لقوا بعضاً من طائر النورس نافقة . لم يعيروها التفاتاً . ولكن حين توغلوا داخل الجزيرة ، لقوا أعداداً كبيرة نافقة. أحسوا بالقلق ، وتبادلوا النظرات .

قالت نرجس :

- ربما أجهدتها الرحلة من أوربا إلى هنا ، فنفقت .

قال عصام :

- كل عام تأتي ، ولم يسبق لنا رؤية هذه الأعداد الكبيرة النافقة.

تساءلت سها :

- هل تناولت سمكاً مسمماً من البحيرة .. ؟!

رد شعبان على تساؤلها بالقول :

- لو كان الأمر كذلك ، لرأينا طيوراً نافقة من الأنواع الأخرى المهاجرة .

علت الحيرة وجوههم .

قال على :

- لنطف بالجزيرة .. ربما انجلى الأمر ..

وافقوه على رأيه . لكنهم قرروا قبل القيام بذلك ، أن يستريحوا قليلا ، ويتناولوا بعض الشطائر .

انتهوا من جولتهم ، دون أن يلفت انتباههم شئ ، يفسر غموض مصرع النوارس .

قالت سها فى لهجة عابثة :

- كأننا يا بدر لا رحنا ولا جئنا .

زاموا بشفاههم .. ساخرين ..

وقالت سها :

- لكشف السر ، نذهب إلى جزيرة حمود .

أطرقوا مفكرين .. فجزيرة حمود القريبة ، التى لا تزيد مساحتها عن فدان ، أو فدان ونصف ، هي معقل النوارس ، تحط عليها فور حضورها ، وتتكاثر فوقها .

قال شعبان :

- أوافق .. على أن نتسابق فى السباحة إليها ، كما تعودنا .

استحسنوا الاقتراح . ولما كانوا يرتدون ألبسة السباحة تحت ملابسهم ، فقد شرعوا يتخلصون منها . وصلت أسماء أولاً . وقفت تلتقط أنفاسها ، وتستقبل القادمين ، لتخبرهم بترتيبهم ، وما سوف يتبع ذلك ، من ضحك وسخرية ، من الذين فقدوا أسبقيتهم .

لكنهم ، لم يضحكوا أو يسخروا ، فقد لفت انتباههم ، أن الماء يكاد يطبق على الجزيرة.تبادلوا النظرات فى عجب ، وهم يفكرون..

هل يكون هذا هو السبب .. لقد غطي الماء أغلب الخضرة وجذوع بعض الأشجار ، وتقلصت مساحة الجزيرة ، فطارت النوارس عنها دون أن تحصل على غذائها ، من زريعة أسماك البورى والبياض والقاروص ، التى كانت تجدها بالقرب من شواطئها ، فهلكت من الجوع .

قال على :

- لابد من خفض المياه .

سألت شيماء :

- كيف .. ؟!

قالت سها :

- نحضر بعض الجرادل وننزح الماء .

ضحكوا جميعا ..

وسألت أسماء :

- كيف زاد الماء

عاجلتها سها :

- من السماء .

قالت نرجس :

- كفى هزر .. نحن فى الصيف ولا يوجد مطر .

قالوا جميعا فى نفس واحد :

- آه صحيح .. كنا ناسيين .

قالت أسماء :

- حقا .. من المسئول عن زيادة الماء فى البحيرة ؟

رد شعبان بسرعة :

- وزارة الزراعة .. !

قهقه على فتحولت الأنظار إليه . قال :

- هي البحيرة أرض زراعية .. ؟!

نظر إليه شعبان فى بلاهة فاستمر على :

- وزارة الرى يا جاهل .

ضحكوا جميعا ، وأخذوا يصخبون .. إلى أن قالت أسماء :

- لو ظللنا نضحك على هذا النحو ، سوف نغرق مع باقى الجزيرة .

قفزوا جميعا إلى الماء ، فى طريقهم إلى جزيرة القرن الذهبى .

أخرجت أسماء تليفونها المحمول ، وسألت :

- هل نتصل بمديرية الرى بالفيوم ؟

قال عصام :

- الأفضل أن يتصل شعبان بأبيه ، ويطلب منه الاتصال بالرى ، لأنه موظف ويستطيع التفاهم معهم أفضل منا ، فربما عدُّوا كلامنا كلام عيال .

أحاطوا به جميعاً ، متحرشين وهم يتساءلون :

- نحن عيال .. ؟!

ردهم عصام بيديه ، وقال وهو يمط الحروف :

- أبداً .. كبار ..

تراجعوا عنه وهم ينطقون بنفس طريقته :

- اعتدل ..

أجرى شعبان الاتصال . وبعد قليل رد أبوه ، أن مديرية الرى أبلغته ، أنها لا تستطيع تخفيض منسوب المياه ، لأن تركيز الأملاح عال فى البحيرة ، وكذا الملوثات من الصرف الزراعي ، مما يهدد حياة الأسماك والأحياء فى البحيرة .

أحسوا بالإحباط .. وبعد قليل قال شعبان :

- لا يرون ما نراه .

قالت سها :

- لابد من حضور أحدهم ..

سخرت أسماء :

- لو أننا فى مالطة ، لن يحضر أحد .

قال عصام :

نذهب إليهم ونخبرهم بما رأيناه .

رد على :

- لن يهتم أحد إلا إذا أخذنا له الجزيرة ، بما عليها من نوارس نافقة .

قالت أسماء :

- نأخذ بعض النوارس النافقة ، ونعطيهم فكرة عما ينتظر الباقى .

سأل عصام :

- كم عدد النوارس النافقة ؟

تفكروا قليلا ، وقالت نرجس :

- حوالى ألف .

سألت أسماء :

- وكم ينتظرها نفس المصير ؟

ردت نرجس :

- حوالى ألفين .

اتفقوا أن تذهب أسماء ، لأن أعصابها لن تفلت منها ، إذا تعرضت لشئ غير متوقع ، وتستطيع الإجابة بهدوء عن أي سؤال

مفاجئ .

وقال شعبان :

– سأذهب معها .

اعترضوا على ذلك ، فهو يفقد أعصابه بسرعة . قال عصام :

– سأذهب معها .. ولكن قبل ذهابنا علينا أن نحدد ما نريده بالضبط .

قالت سها :

– انقاص منسوب المياه ، لما بقى من يونيو ، وكذا شهر يوليو ، فترة وجود النوارس فى مصر .

قال عصام :

– وإذا قالوا ما قالوه لوالد شعبان .

ردت نرجس :

– زيادة المنسوب فى الفترة الماضية ، غيرت من درجة الملوحة والتلوث فى البحيرة .

قفز عصام وأسماء إلى القارب ، وقبل أن ينصرفا ، طلب الباقون توصيلهم إلى جزيرة حمود لمعرفة ما يستجد هناك .

هبطوا على الجزيرة ، وأخذوا يتفقدون أحوال النوارس. وضح من حركتها البطيئة ، أنها تعاني من الجوع . ولما كان شعبان وعلى يجيدان الغطس ، فقد اقترحت عليهما سها ونرجس أن يحاولا الحصول على زريعة من الأسماك ، لتغذية النوارس . أفرغ شعبان

حقيبة من محتوياتها ، وأخذها وغاص مع على بالقرب من الحدود الغارقة للجزيرة . وكلما التقطا شيئا ، أسرعا به إلى أعلى، فتسرع به سها ونرجس إلى النوارس .

تعب على وشعبان ، فصعدا ، وألقيا بجسديهما على الأرض .. وعيونهم جميعا تراقب ما بقى من الجزيرة .. وأخذ ضيقهم يزداد ، وهم يلاحظون عدم هبوط منسوب الماء . وعبر على عن نفاد صبرهم بالقول :

- واضح أن عصام وأسماء لم يصلا إلى شئ .

نظرت نرجس إلى ساعتها ، وقالت :

- تأخرنا .. ولم يحضرا .. كيف نتصرف ؟!

أطرقوا فى حيرة . فجأة رفعت سها رأسها وقالت :

- انظروا ..

دقت قلوبهم بسرعة ، وهم يدققون النظر ، خشية أن يكون ما رأوه ، من زيادة الرقعة الظاهرة من الجزيرة ، من صنع أمنياتهم. وأخذوا يحملقون فى الماء فى ترقب وتوتر .

وعندما اكتملت جذوع الأشجار وبانت الخضرة أمامهم ، تبادلوا النظرات غير مصدقين . وقبل أن يتمالكوا أنفسهم رأوا القارب يقترب من الجزيرة ، وعصام وأسماء يلوحان لهم . وزادت حركة النوارس ، وأخذت تتقاذف فى الهواء ، وترفرف بأجنحتها فى مرح .

مرحبا بالبشاروش

وصل مصطفى وعزة ، مع والديهما إلى قرية سياحية على شاطئ بحيرة قارون . تلهفا على طلوع الصبح ، وبعد أن أفطرا ، أسرعا للسباحة فى مياه البحيرة الهادئة .

لمحا طائرا فى الماء . قال مصطفى :

– عثرنا على غدائنا اليوم .

ضحكت عزة وقالت :

– الآن .. لن تقول لك ماما ياما أحضر الغراب لأمه .

جاراها فى الضحك ، وقد تذكر ذهابه لصيد السمك مع بعض أصدقائه ، وفى كل مرة يمني أمه بوجبة سمك معتبرة ، ولا يحضر سوى سمكتين صغيرتين .

أسرعا بالسباحة فى اتجاه الطائر . وما كاد مصطفى يمسك به ، ويرفعه لتراه عزة ، حتى انفجرت ضاحكة .

مجرد هيكل عظمي لأحد طيور البشاروش ، وقد بدا عليه الإرهاق الشديد .

عادا به إلى الشاطئ ، وهما لا يدريان ماذا يفعلان به . تركاه على الأرض ، فأخذ ينقل رجليه الطويلتين الرفيعتين بصعوبة ، ويحرك رقبته الطويلة بمشقة .

قال مصطفى :

- لو تركناه على هذا الحال سوف يقضى .

ردت عزة :

- لنذهب به إلى طبيب بيطرى .

تململ مصطفى ، وبان عليه التردد . قالت عزة :

- لا تقلق .. نصف ساعة ونعود .. وأمامنا أسبوعان بطولهما فى المصيف .

تركا خبرا لماما وبابا ، وسألا عن أقرب وحدة بيطرية . علما أنها فى قرية قريبة ، على الطريق إلى الفيوم . استقلا الباص . وعندما وصلا إلى الوحدة ، قال الطبيب عبد السلام رئيس الوحدة:

- هذا طائر مائى ، يتغذى على الطحالب ، وهى غير متوفرة لدينا .

نظرت عزة إلى الطائر الهزيل ، وتبادلت النظرات مع مصطفى ومع الطبيب .

نادي الطبيب أحد العمال وقال :

- هل يمكن أن تعد وجبة من الأعلاف الجافة ، تصلح لتغذية هذا المسكين .

أومأ العامل بالإيجاب .

شكر مصطفى وعزة الطبيب ، وعند خروجهما ، حضر ولدان يحملان طائرين من البشاروش ، وقد بان عليهما الإرهاق .

نادي الطبيب العامل ، وأشار له ليأخذ الطائرين لتغذيتهما .

اعترض أحد الولدين قائلا :

– أحدهما لا يعاني الجوع فقط .

أمسك الطبيب الطائر المقصود ، وفتح فمه ، أمسك مقصا رفيعا طويلا ، وأدخله فى الفم . أخذ يحركه حتى جذب سوستة معدنية علقت فى حلقه .

قال الطبيب :

– التقطها من نفاية إحدي القرى السياحية .

ونظر إلى مصطفى وعزة ، وكذا اتجهت هما نظرات الولدين .

قالت عزة ، وهي لا تدرى لماذا شعرت بالذنب :

– وصلنا بالأمس فقط .

وأثناء خروجهم من الوحدة ، سأل مصطفى الولدين :

– متى حضرتما للمصيف ؟

رد أحدهما :

– نحن من هذه القرية .

ورفت ابتسامة على شفتيه ، ومد يده بالسلام قائلا :

– حسام .

ومد زميله يده بالسلام وقال :

– نبيل .

وردد مصطفى وعزة إسميهما ، وعزماهما ليذهبا معهما . اقترح حسام أن يأخذوا طريقهم بين الغيطان ، بدلا من انتظار الباص . قفزوا متخطين ترعة بحذاء الطريق ، ومشوا على الممرات الضيقة بين الحقول ، تظللهم الأشجار أشار نبيل إلى بقعة قريبة بجوار ساقية ، وقال :

انظروا .

أسرعوا إلى هناك . وجدوا كثيراً من طيور البشاروش ، قد سقطت من الإرهاق .

علق حسام :

– تنهكها رحلتها الطويلة من أوربا ، كل عام ، فتهلك أعداد كبيرة من الجوع والمرض .

قالت عزة :

– لنجمع المرضى ، ونذهب بها إلى الطبيب .

هز حسام كتفيه معترضا ، وقال :

– سرب البشاروش حوالى مئة أو مئة وثلاثين ألف طائر ، يتساقط عدة آلاف .

هز مصطفى رأسه عدة مرات ، علامة الفهم .

استمروا فى المسير . وصلوا إلى القرية السياحية . أخبرت عزة

والدتها بحضور الضيفين . قدمت الأم شرابا مثلجا . وتركتهما مع ولديها ، حتى يتسامروا فى حرية ، وأحضر مصطفى بعض الكراسى وشمسية ، وجلسوا على شاطئ البحيرة.

قال حسام :

- حتى لا يتكرر أمر السوستة .. هل يمكن محادثة المسئولين عن هذه القرى بعدم إلقاء نفايات قرب البحيرة .

قالت عزة :

- هذا حادث عرضى .. لكن .. ماذا عن آلاف الجوعي والمرضى.. ؟!

تناولوا الأكواب ، وأخذوا يشربون ، وهم يفكرون فيما قالته عزة .

وعادت عزة للتساؤل :

- وطبعاً الوحدة البيطرية فى قريتكم ، ليست مجهزة بما يكفى.

أومأ حسام ونبيل برأسيهما موافقين .

قال مصطفى :

- لابد من تجهيز مستشفى كبير .

نظروا إليه فى دهشة ، وسأل حسام :

- كيف .. ؟!

قال مصطفى :

- نذهب إلى الطبيب البيطرى ونعرض عليه الأمر ، ونتصل

بتلاميذ المدارس وأصدقائكم من الفلاحين فى قريتكم والقرى المجاورة ، ونعرض عليهم التطوع ، ويذهب أحدكما إلى مجلس محلى القرية لاستضافة المتطوعين ، ويحادث الآخر ناظر إحدي المدارس للموافقة على استخدام حوش مدرسته كمستشفى .

تبادلوا النظرات .. ورددوا ..

- هل يمكن .. ؟!

- هل يتجاوب معنا أحد .. ؟!

- سوف يضحكون منا ..

قال مصطفى فى حسم :

- نحاول :

(٢)

قام مصطفى وعزة مبكرين ، وأخذت عزة معها كاميرتها . وفى الطريق إلى الوحدة البيطرية ، ، التقطت عزة بعض الصور . وعندما وصلا إلى الوحدة ، استفسرا من الطبيب عبد السلام عن صحة الطيور الثلاثة . علما منه أن الطائر الذى أحضراه ، بدأ يتناول الطعام ، ويستجيب للعلاج ، لكن يلزمه بعض الوقت حتى يستطيع الطيران ، وأن الطائرين الآخرين يتماثلان للشفاء سريعا .

حادثا الطبيب بشأن عمل مستشفى فانفجر ضاحكاً .. لكن .. حين لمح الاستياء على وجيهما ، أبدي استعداده للمساهمة مراعاةً لشعورهما .

التقطت عزة بعض الصور للطيور الثلاثة ، وأرادت صورة للطائر الذى جُرح فى حلقه ، والسوستة معلقة فى فمه . تحايل مصطفى على الطائر ليضع السوستة بين شقى منقاره ، لكنه خافها بعد تجربته معها بالأمس .. وبعد عدة محاولات نجحت عزة فى التقاط الصورة المطلوبة ..

وتساءل الطبيب عبد السلام ضاحكا :

- للذكرى .. ؟!

شكراه ، وذهبا لموعدهما مع حسام ونبيل فى مكتبة مدرستهم الإعدادية بالقرية . وفوجئا بوجود كثير من الأولاد معهما . استبشرا خيرا ، لكن حسام قال :

- أعضاء المجلس المحلى سخروا منا ..

قال مصطفى وعزة معا :

- والناظر .. ؟!

رد حسام :

- لابد من إذن من رؤسائه ..

وعلت همهمات :

- يكون الوقت قد فات ..

- وحتى يكتب هم ..

- وحتى يردوا .. تكون آلاف الطيور قد ماتت .

قال مصطفى :

- دعوا الأمر لى .

(٣)

ذهبت عزة إلى الفيوم ، لطبع الصور التى التقطتها . انتقت بعضها . الطائر وفى فمه السوستة . الطائر الذى عثرا عليه فى البحيرة . منظر لبحيرة قارون باتساعها ، والتحامها بالأفق الأزرق. بعض الطيور وقد بدا عليها الإرهاق . منظر للقرية ببيوتها الواطئة وأشجارها العالية . منظر لقرية سياحية .

أخذت الصور إلى مكتب كمبيوتر . جعلت خلف الطائر الذى فى فمه سوسته منظر القرية السياحية ، وخلف الطائر الذى عثرا عليه منظر البحيرة ، وخلف الطيور المرهقة منظر القرية .

وكتبت تحت الصورة الأولى : رجاء عدم إلقاء النفايات قرب البحيرة ، وتحت الصورة الثانية : تبرعوا لعلاج الطائر المريض ، وتحت الصورة الثالثة : حافظوا على حياة طيور البشاروش .

ودفعت بالصور الثلاثة إلى إحدي المطابع ، وطبعت مئة من كل صورة بعد تكبيرها .

استقلت الباص لتلحق باجتماع دعا إليه حسام ونبيل فى قرية مجاورة لقريتهما .

عندما وصلت ، كان الأولاد يضحكون من مصطفى ومن معه . وكان مع أحدهم كرة قدم ، قذف بها فى الهواء ، واستقبلها بأحد قدميه ، ورفعها إلى رأسه ، وأخذ ينقل الكرة بين قدميه ورأسه عدة

مرات ، بين تهليل الحاضرين وتشجيعهم ، إلى أن قال أحدهم :

- لا نعطلكم يا أخوان ..

وأشار بيديه ليخلوا المكان .

قالت عزة :

- لن نعطلكم عن اللعب ..

وأرتهم نماذج من الصور التى معها . تبادلوها بينهم . وفجأة علت قهقهاتهم ، ورفرف أحدهم بإحدى الصور ، وقال:

- يا عيني على الطائر المسكين ..

رد عليه آخر :

- خذها ، واستجدي بها الناس يوم الجمعة على باب الجامع .

تعالت الضحكات وأخذوا يصخبون ..

تقدم فتى من بينهم ، وأشار لهم بيمناه ليسكتوا ، وقال لعزة:

- هات بعض الصور .

قال الولد الذى كان يلعب الكرة :

- ناقصينك ياسى حسن يا صبى النجار ..!!

وتقدمت فتاة وقالت :

- دعك منه ..

قال أحد الأولاد الصاخبين :

- لم يبق إلا أنت يا نعمة .. حزمة الجرجير بكم .. ؟!

عاود الأولاد الضحك ..

عادت عزة وباقى الزملاء إلى قرية حسام ونبيل ، اللذين أخذا بعض الصور للصقها فى الأماكن البارزة بالقرية ، وأخذ زملاؤهما بعض الصور للصقها عند محطة الباص ، وفى بعض القرى السياحية .

استأذن مصطفى وعزة لينصرفا . لحظت عزة صمت مصطفى طوال الطريق . أحست بالذنب لما ناله من سخرية الأولاد . وأخذت تلوم نفسها .. ألا يكفى أنهما فى يومهما الثالث فى المصيف ،ولم يستمتعا كما كانا يأملان ، وهي التى قالت له : نصف ساعة ونعود .. وفكرت أن تكلمه فى ترك الأمر .. تذكرت ما قالته نعمة ، والتى خمنت أن أمها بائعة خضروات ، وما فعله حسن التى علمت أنه يساعد والده فى التجارة .. ترددت قليلاً .. ولكن عندما طن فى أذنيها عتاب والديها ، أنها لم يعودوا يريانهما .. ألح عليها ثانية هاجس ترك الأمر ..

وتأملت ما بقى من صور بين يديها .. صَعب عليها ما بذلت من جهد . .وكذا ما فعله حسام ونبيل لإقناع زملائهما فى القرية ..

وقعت فى حيرة ، ولم تعد تدرى ماذا تفعل ..

(٤)

ظهر اليوم التالى ، نهضت عزة فى تكاسل . ولم تشأ أن توقظ مصطفى . لكن .. لدهشتها ، وجدته قد سبقها إلى الخارج . لحقت به ، ولم تكلمه فى شئ . وقبل أن يصلا إلى مكانهما المفضل عند

البحيرة ، فوجئا بحسام ونبيل يسرعان نحوهما .

قال حسام :

- لماذا لم تحضرا اليوم .. ؟!

تبادل مصطفى وعزة النظرات ، وحارا فى الجواب .

قال نبيل مهللاً :

- كثيرون رأوا الملصقات ، وذهب بعضهم إلى الوحدة البيطرية لتقديم المساعدة .

قالت عزة ومصطفى معا :

- حقا .

قال حسام :

- غيرا ملابسكما وهيا بنا لنرى ماذا فعل الطبيب عبد السلام.

عاودهما نشاطهما .. أسرعا إلى البيت .. ثم مضيا معهما إلى الوحدة البيطرية .

ما أن رآهما الطبيب عبد السلام ، حتى أدرك أنهم جادون. طلب مهلة، ليتصل ببعض زملائه فى الوحدات الأخرى ، ليرى مدى استعدادهم للعمل فى المستشفى الجديد.

مال نبيل على مصطفى وهمس :

- هل أعددت المكان .

صمت مصطفى ، وتذكر ما قاله لهم " دعوا الأمر لى " .. لكن بسبب ما لاقاه مؤخراً ، لم يتحمس لإنجاز ما وعد .

خرج مصطفى عن صمته .. وهمس :

- اليوم .

استأذنوا فى الخروج ، وقال مصطفى :

- تعالوا معي .

ذهبوا إلى حظيرة للدجاج على مشارف القرية ، كان مصطفى قد لحظها عند قدومه أول مرة . وقبل أن يحدثوا صاحبها عن مشروعهم ، أبلغهم أنه رأى الصور الملصقة لطيور البشاروش ، فلمعت عيونهم وتألقت .

وأبدي استعداده لإعارتهم عنبرا خاليا ، وحجرتين جانبيتين لا يستخدمهما .

أسرعوا إلى زملائهم فى القرية . تولت مجموعة من الأولاد والبنات تنظيف العنبر من الأتربة . ومسحوا أرضه بالماء . كما قاموا بتنظيف الحجرتين . وذهب نبيل لإحضار حسن لعمل رفوف فى إحدي الحجرتين لاستخدامها كصيدلية ، وعمل حواجز خشبية فى العنبر . واستقر الرأى على استخدام الحجرة الأخرى كمكان للاستقبال .

(٥)

صباح اليوم التالى ذهبوا إلى الوحدة البيطرية . أبلغهم الطبيب عبد السلام استعداد بعض زملائه للعمل فى المستشفى يوما فى الأسبوع ، وأن صاحب صيدلية بيطرية سيمدهم ببعض الأدوية .

وقبل بدء العمل فى المستشفى ، تشكل مجلس لإدارتها ، رأسه الطبيب عبد السلام وانضم إلى عضويته بالإضافة إلى عزة ومصطفى وحسام ونبيل بعض الفلاحين من القرية ، وكذا نعمة وحسن من القرية المجاورة .

وما أن بدأ العمل ، حتى أحضر الفلاحون ما وجدوه فى حقولهم من طيور فى حاجة إلى علاج . وانتشرت مجموعات من الأولاد والبنات ، هنا وهناك ، تلتقط الطيور الجوعي والمرضى وتذهب بها إلى المستشفى .

وإزاء تدفق هذه الأعداد الكثيرة من طيور البشاروش وطيور أخرى غيرها ، اقترح حسام على مجلس الإدارة ، إنشاء عنبر جديد ، تلحق به حجرة لإجراء العمليات الجراحية . وافق صاحب حظيرة الدجاج على أن يبنوا العنبر الجديد على أرضه ، وكتب مصطفى إعلاناً للمساهمة فى إنشاء العنبر الجديد ، طبعت عزة عدداً منه ، وقام التلاميذ فى القرية والقرى المجاورة بتوزيعه على الأهالى . تطوع بعض الفلاحين ، وعملوا الطوب اللازم للبناء ، من الطين الملقى على جانبى الترع بعد تطهيرها .

وأحضر حسن بعض الطاولات الخشبية ودولاباً ، وعمل مع زملاء له التجهيزات الخشبية اللازمة .

واقترحت نعمة إنشاء قسم لتأهيل الطيور ، بعد شفائها ، لتستعيد قدرتها على الطيران . وافق مجلس الإدارة على أن يتم

ذلك فى الهواء الطلق ، وأخبرهم الطبيب عبد السلام عن أرض مهملة خلف الوحدة البيطرية تصلح لذلك . ذهبوا لمعاينتها .. وقال مصطفى :

- فى حاجة إلى تشجير ..

قال نبيل :

- سأتولى هذا الأمر .

ذهب إلى مشتل مدرسة الزراعة بالفيوم .. وأحضر بعض الشتلات .. ورافقه أولاد من المناوبين للعناية بزرعة المدرسة فى إجازة الصيف. وتولوا إرشاد باقى الأولاد الذين تقدموا للمساعدة ، إلى كيفية غرس الشتلات ، وكيفية الحفاظ عليها بعد ذلك .

وحضرت إلى المستشفى وفود من الزوار للمشاهدة ، وجذب الأمر بعض السياح ، ولم يعد غريبا أن تراهم على الطريق السريع ، يسألون عن قرية البشاروش ، وأقام بعضهم فى القرى السياحية لعدة أيام .

وجاء مندوب عن أصحاب القرى السياحية ، وأبلغ إدارة المستشفى ، أنهم سيتبرعون من مطابخهم ، بما يصلح لتغذية الطيور ، وكذا ما يصلح من النفايات ، قبل أن يتخلصوا منها .

(٦)

أيقظت الأم عزة ومصطفى . ناولتهما جريدة وقد فتحتها على صفحة معينة . قالت :

- أنظرا

نظرا، وهللا غير مصدقين .

كانت إحدي الصور التى لصقت على الجدران ، مطبوعة فى الجريدة ، وتحتها مقال قصير عن إنشاء مستشفى لمعالجة البشاروش وباقى الطيور المهاجرة ، ودعوة لمساندة المشروع . ارتديا ملابسهما ، وأسرعا إلى الخروج .

قالت الأم محذرة :

- لا تتأخرا ..

انتبها فجأة ، أن أيامهم فى المصيف انتهت ، وأن موعد السفر اليوم.

ذهبا إلى المستشفى ، ومعهما الجريدة . وقبل أن يتفوها بحرف كان الجميع يخبرونهما . جاء رئيس المجلس المحلى بالقرية ، وأبدى رغبة المجلس فى توفير أماكن لاستضافة المتطوعين الغرباء . وحضر بعض السياح لمشاهدة قسم التأهيل فاصطحبتهم عزة .

كانت نعمة تحاول فرد جناحي أحد الطيور ، وتجرى أمامه ، لتحثه على اللحاق بها . حاول الطائر وتعثر . ضحك الأطفال الذين تجمعوا يشاهدون المحاولة . أحضرت نعمة طائرا معافى وحثته على الجرى والرفرفة بجناحيه . وأطلقت فى أثره الطائر الذى تؤهله .. مشى قليلا يترنح .. ورفرف بجناحيه .. وعندما ارتفع قليلا عن الأرض ، صاح الأطفال :

- هيه ..

دفعتـه الـصيحة إلى الرفرفـة بجناحيـه بـسرعة .. وتمكـن مـن الارتفاع عن الأرض أكثر .. وتجاوب معه الأطفال وهم يصفقون :

- هيه .. هيه .. هيه ..

انتقلـت العـدوي إلى الـسياح ، فأخـذوا يـصفقون مـشجعين ، وبعضهم يلتقط الصور .

عادت عزة بالسياح لمشاهدة ما يجرى فى حجرة العمليات . تجبير للكسور ، أو خياطة ما تمزق من عـضلات ، أو اسـتخراج مـا ابتلع من مواد غريبة .

أشار مصطفى لعزة ، فانتزعت نفسها ، وقد أدركت أن اللحظة قـد حانـت . ذهبـت معـه إلى حجـرة الاسـتقبال . التـف حولهمـا الحاضـرون مـن مجلـس الإدارة ، وبعـض الأهـالى ، ورئـيس المجلـس المحلى . قال مصطفى والدموع تطل من عينيه :

- جئنا اليوم لنودعكم .

قال حسام :

- تسافران .. ونحن فى زحمة العمل .

قالت عزة بأسف :

- إقامتنا فى المصيف انتهت .

وأفلتت دمعة على خدها .

قال حسام ونبيل معا :

- لا .. لن تسافرا .
قالت عزة :
- وماذا نقول لبابا وماما .
قال رئيس المجلس المحلى .
- يعز علينا سفركما .
قال مصطفى وعزة فى نفس واحد، بصعوبة ، من شدة التأثر :
- شكرا .
رد رئيس المجلس المحلى :
- قبل أن تشكراني ، أريد منكما وعداً بألا تغادران لحين عودتي .

انصرف ، ونادت نعمة عزة كما اعتادت فى السابق:
- الطيور جائعة .. هيا لإعداد الطعام .

ضحكت عزة ، وذهبت معها . وشغل مصطفى نفسه بصاحبة وفد من هواة الطيور .

وعندما اقترب العصر ، نادي مصطفى عزة ، وأخذا يسلمان على الحاضرين ، والدموع تترقرق فى عيونهم . وفجأة دخل صبى وقال لنعمة :
- وصل سرب من النوارس ليستريح ويتناول طعامه .

أسرعت نعمة لإحضار نورس كانت تؤهله للطيران بعد علاجه ، ليلحق بالسرب قبل أن يكمل رحلته . فجأة دخل رئيس المجلس

المحلى وقال :

- لن تسافرا .

تطلع الجميع إليه فقال :

- بابا وماما وافقا أن تمكثا معنا حتى بدء الدراسة .

هلل الأولاد والبنات ، وزيطوا ، وتحولت دموع الفراق إلى دموع فرح.

أبو النطاط يغمس عسلاً أسود

(١)

عصر كل يوم جمعة ، يخرج الأصدقاء ، فهمي وفاروق وشوقية وزهرة ، للتريض بين الحقول ، ترويحاً عن أنفسهم ، من عناء المذاكرة طوال الأسبوع ، ويرافقهم رشدي الذى يعمل فى الحقل مع والده ، تربطه بهم صداقة ، من أيام الطفولة .

وبينما هم يضحكون ويمزحون ، لمحوا حشرة على شجرة . اقترب منها فهمي وأخذ يتفحصها ، ثم التفت بقامته متوسطة الطول ، ووجهه الأسمر ، وشعره الطويل الممشط إلى الخلف ، وقال:

- أبو النطاط

اقتربت زهرة ذات البشرة البيضاء من الحشرة ، وهزت رأسها معترضة ، فاهتز ذيل الحصان الأسود فى مؤخرة رأسها . قالت :

- فرس النبى

قال فهمي :

- تراهنى .. ؟!

قلب فاروق ، بقامته النحيفة ، النظر بينهما . خفض رأسه فبان شعره الأكرت مفروقا من الوسط . قال :

- خاسر الرهان يشترى للجميع جيلاتي بعد انتهاء الدراسة غداً.. موافقون ؟

وجاء الرد :

- موافقون .

واجههم رشدي بقامته متينة البنيان ، وصاح :

- وأنا ..

قالت شوقية ضاحكة :

- سنحتفظ لك بنصيبك ..

وجاوبها الأصدقاء فى الضحك .. فكيف يحتفظون بالجيلاتي دون أن تسيح ، من الزقازيق حيث مدرستهم الثانوية ، حتى وصولهم إلى القرية.

قال فهمي مطيباً خاطره :

- سنعوضك بشئ آخر .

حاول الأصدقاء إمساك الحشرة . وكلما اقتربوا منها ، طارت بعيداً، ولم ينتبهوا إلا وهم على حافة الصحراء ، التى تحد مزارع قريتهم . قفزت شوقية فجأة ، ولم تكد تطبق بكفيها على الحشرة ، حتى سمعوا طنيناً لحشرات كثيرة تحوم هنا وهناك .

قالوا جميعاً فى نفس واحد :

- ها ..

واربت شوقية كفيها ، ومالت تتأمل بعينيها العسليتين الحشرة. قالت :

- لونها أحمر .. وفرس النبى لونه أخضر .

قفز فهمي فرحا :

- كسبت الرهان ..

اعتدلت شوقية ، بقامتها الطويلة ، لها ضفيرة متدلية على صدرها ، من فوق إحدي كتفيها ، وقالت :

- أبو النطاط لونه أصفر غامق ، أقرب إلى لون طائر الكنارى .

قال فهمي فى غيظ :

- لا مذاكرة ..

قال فاروق :

- فهمي كسب الرهان.. عندما تكبر هذه الحشرة سيتغير لونها .

قالت زهرة :

- أي أنها لم تصبح أبا النطاط

قال فهمي :

- ولكنها فى طريقها إلى ذلك .

ردت زهرة :

- ليس لنا دعوة .. المهم الآن .

وثار جدل بينهم هل هي أبو النطاط ، أم لا .. وإذا لم تكن ، فماذا تكون .. ؟!

قال رشدي زاعقا :

- هي جرادة .

انفجروا جميعاً ضاحكين .. وقال فاروق وهو ينغم الكلمات :

- وفسر أبا النطاط بعد الجهد بالجرادة .. يا أبا الذكاء .. أليس هذا هو تلك ..

زاد الطنين، رفعوا رؤوسهم ، فرأوا حشرات حمراء تتكاثر عند أشجار الجازورينا والكافور فى نهاية الأراضى الزراعية .

ساروا خلف الأشجار . وجدوا غيمة من الجراد ، آتية عبر الصحراء .

قال فاروق :

- لن يأتي الغروب ، إلا وتكون هذه الغيمة فوق الحقول .

قال فهمي :

- علينا إبلاغ قسم مكافحة الجراد .

قالت زهرة :

- اليوم الجمعة .. ولن يصل أحد قبل الغد .

علق رشدي :

- ويكون الجراد قد تعشى بالخضروات المزروعة .

قال فاروق :

- شوقية عضو فى نادي الكمبيوتر بمدينة ديرب نجم ، والنادي مشترك فى شبكة المعلومات (النت) فلتجمع لنا كل شئ عن الجراد ، حتى نستطيع التصرف ، ونلتقى بعد ساعة فى مركز رعاية الشباب بالقرية .

وافقوا جميعاً على الاقتراح ، وأسرعوا فى طريق العودة .

(٢)

اجتمع الأصدقاء فى الموعد المحدد ، فى حجرة المكتبة ، بمركز رعاية الشباب . وجذب الموضوع بعض المشتركين فى المركز ، فجلسوا معهم .

نظرت شوقية فى ورقة كبيرة طبعتها من الكمبيوتر ، وقالت :

- الحشرات التى رأيناها هي الحوريات الحمراء .. وعندما تنمو قليلاً تأخذ شكل ولون الجراد المعروف .

قفز فهمي من مقعده ، وقال :

- كسبت الرهان .

نظر باقى الأصدقاء له فى لوم ، فأحس بالخجل . وقال فاروق :

- أكملى يا شوقية .

قالت شوقية :

- ويحب الجراد العسل الأسود .

هلل الحاضرون ، وأخذوا يضحكون .

قال أحد الحضور :

- وألا يحب العسل الأبيض ... ؟!
عاودوا الضحك ، وهم يتطلعون إلى مصدر الصوت .
قال رشدي :
- أمسك لسانك شوية يا رمزي .
واستمرت شوقية :
- وجهازه التنفسى ضعيف ، وأي مبيد يؤثر عليه .
قال فاروق :
- اتضحت الصورة الآن . لنجمع مبيدات الناموس والحشرات المنزلية ، من بيوت القرية ، والبقالين ، ونستعد للرش ، عندما يحط الجراد على حقول الخضروات .
اعترض صوت رفيع :
- لا
التفت فاروق إلى المعترض . كان نادر ، بقامته النحيفة القصيرة ، قد نهض عن كرسيه ليروه . ضغط بإبهام يمناه نظارته الطبية التى انزلقت على أنفه الطويل . قال :
- ستضر الخضروات من يتناولها .
نظروا إلى بعضهم بعضا .. وسألت زهرة :
- لماذا لا نرش الجراد بعيداً عن الحقول .. ؟!
نهض رمزي ، فبانت عضلاته المفتولة ، وقال :
- كيف نلقى الجراد وهو طائر ..
تصاعدت الضحكات ، وقالت زهرة ساخرة :
- ليتك لا تفكر بعضلاتك يا سى رمزي .
غضب رمزي ، وشرع فى المغادره . هدأه بعضهم ، وتأسفت زهرة له، وقالت :

- سيمر الجراد بالطريق المسفلت فى طريقه إلى الحقول . نرش العسل الأسود على الطريق .

غلب الضحك " رمزي " وقال :

- ونحضر له خبزاً ليغمس .

انفجروا جميعاً ضاحكين . وقالت زهرة من بين ضحكاتها :

- تبدأ بالسخرية .. وتزعل بعد ذلك .

ولما لم يجب رمزي ، استمرت زهرة :

- نضع المبيدات فى العسل الأسود .

وعلق نادر ، وهو ينظر إلى رمز ى وزملائه الرياضيين بعينيه الصغيرتين خلف دوائر زجاج نظارته :

- هكذا الأفكار .. يا أجسام البغال وأحلام العصافير .

قفز رمزي إليه ، وخطفه خطفة ، مما يستخدمها فى لعب المصارعة ، وضغط على رقبته بأحد ذراعيه ، فصرخ نادر :

- الحقوني ..

ضحك رمزي وزملاؤه ، وأفلته استجابة لرجائهم . عاد إلى مكانه وقال :

- عندنا فى المحل صفيحة مياه مملوءة بالعسل الأسود .

قال رشدي :

- وسأمر مع بعض الزملاء فى الغيط على باقى البقالين لنحضر ما نجده عندهم من عسل ومبيدات ، وكذا ما نجده فى بيوتنا .

قال فهمي :

- علينا بالإسراع ليتم العمل قبل الغروب .

انطلق رمزي ورشدي وبعض الحضور إلى القرية . وقال فهمي :

- غيمة الجراد بها أعداد كبيرة ، ولن تقع كلها على الطريق .

قالت شوقية :

- الجراد يحط ليلاً على أشجار الجازورنيا والكافور .

قال نادر :

- جميل .. نرشه ليلاً بالمبيدات على الشجر .

رد فاروق :

- ومن ينجو تُلوث أجنحته الخضروات .

قال نادر :

- لن نرشه بمبيدات الحشرات المنزلية .

سأل فاروق :

- بماذا سترشه .. ؟!

قال نادر :

- أكيد يوجد مبيد خاص بالجراد ..

قال فهمي ساخراً :

- وما هو يا رئيس نادي العلوم بالمدرسة .. ؟!

نظرت شوقية إلى نادر بإشفاق .. وتطلعت فى ورقة الكمبيوتر ، بعد برهة قالت :

- مركب" الكلور بيرفوس " ..

قال نادر :

- جميل .

عاجلته شوقية :

- ما هو الجميل .. هذا المركب به فسفور ، وهو يؤثر على الجهاز العصبى للإنسان .. وقد يتسرب الرش إلى مياه الرى والشرب.

عادت شوقية إلى الورقة ، وقالت :

- مبيد " الدروسبان " .. لكن لا توجد معلومات عنه .

قال نادر :
– سأذهب إلى الجمعية الزراعية ، وإذا لم أجده سأذهب إلى الصيدلية البيطرية بديرب .
قالت زهرة :
– لا تنس أن تسأل هل هذا المبيد آمن للإنسان أم لا .
وبينما شرع نادر فى الانصراف ، استوقفته شوقية :
– يوجد نوع من الفطريات محضر على شكل مسحوق ، ويمكن تعفير الجراد به ، لكن أثره لا يظهر إلا بعد أيام .. حيث تضعف الحشرة وتموت فيما بعد ..وميزة الفطريات أن الحشرة تنقلها إلى أماكن أخرى وتتسبب فى عدوي باقى الجراد .
قال فهمي مقلداً نادراً :
– جميل .. ومن أين نحصل عليها ..
التفت نادر إلى فهمي وقال :
– مقبول منك يا أبا الأفهام .
ثم وجه الحديث إلى شوقية :
– ما اسم هذا الفطر .. ؟
ردت شوقية :
– " ميتاريزيوم " .
ردد نادر الإسم ببطء ، وقال :
– أكيد سنجده عند مركز مكافحة الجراد .
قال فهمي ببطء مثل نادر :
– جميل يا أبا النوادر .. فاروق يخطف رجله إلى مركز المكافحة فى ديرب ..
قالت شوقية :

- ما هو الجميل .. أولاً لا يوجد مركز مكافحة إلا فى الإسماعيلية والمنصورة ، أقرب مدينتين لنا .

قال فاروق :

- جارنا سائق عربة أجرة على خط الإسماعيلية .

ردت شوقية :

- هذا هو الجميل .. أسرع .. لعلك تلحق به .

تأبط فاروق ذراع نادر ، وانصرف كل منهما إلى غايته .

صاح فهمي :

- نريد متطوعين لإحضار رشاشات من الجمعية الزراعية .

ارتفعت أيدي كثير من التلاميذ والفلاحين الصغار ، الذين يساعدون آباءهم فى الحقول ..

قال فهمي :

- شكراً للتلاميذ .. الفلاحون .. أعتقد خبرتهم أفضل .. جهزوا الرشاشات فى انتظار نادر وفاروق .

وأشار لهم ليذهبوا إلى الجمعية.

قالت شوقية :

- نريد متطوعين لتسلق الأشجار .

رد فهمي :

- هل سنجد أفضل من إخواننا لاعبى العقلة والمتوازيين .

نهض اللاعبون، وقال أحدهم :

فور وصول ضيوفنا الأعزاء من الجراد ، سنعطيهم حماما ، من مسحقونا المنعش ..

تعالت الضحكات .. وبينما يهم الحاضرون بالانصراف ، دخل إلى الحجرة العم اسكندر ، وسأل غاضبا :

- أين الولد رمزي .. ؟!

سأل فهمي بدوره :

- ماذا حدث .. ؟!

قال العم اسكندر :

- اختفى " الترسكل " من أمام المحل .. وأخبرني بعض الصبية أن ولدي أخذه .. وهناك بضاعة أود نقلها .

تفهم الحاضرون الموقف ، وهدأ بعضهم من ثائرة العم اسكندر ، وأفهموه ما هم بصدده وأنه لابد حَمْل عليه صفيحة العسل الأسود ..

زال غضب العم اسكندر ، وقال :

- لو أخبرني .. عندي صفحيتا عسل بالمخزن .

أشار فهمي إلى اثنين من الحاضرين ، ليذهبا مع العم اسكندر .

(٣)

فى الصباح كان الأصدقاء فى طريقهم إلى مدرستهم بالزقازيق . وجدوا الدنيا مقلوبة على الطريق . طبت قلوبهم بين ضلوعهم . كانت سيارات حملة مكافحة الجراد ، واقفة فى مدخل القرية ، مترددة فى السير فوق الطريق اللزج ، بفعل العسل الأسود .. وبعض رجال المكافحة يسب ويلعن . وتساءل قائد الحملة مستنكراً :

- من فعل هذا .. ومن الذى أذن له .

همس فاروق لأصدقائه :

- ارتكبنا خطأ كبيراً .. لم نضع لافتةً تحذر من المرور ، وترشد إلى الطريق الزراعي .

تقدم فهمي من قائد الحملة ، وقال :

- تفضل معي .. الطريق الزراعي ليس بعيداً .

أشار له القائد فى قرف ليركب. صعد فهمي إلى جواره فى مقصورة العربة .

عندما وصل رجال المكافحة إلى الحقول ، لم يجدوا إلا أعداداً قليلة من الجراد . انبسطت ملامح القائد ، والتفت إلى فهمي ، وقال :

- يبدو أن الجراد غرق فى عسلكم .

ولم يكد يتفوه بكلماته ، حتى حلقت غيمة من الجراد ، قادمة من الصحراء ، أسرعوا لملاقاتها برشاشات المبيد، قبل أن تصل إلى حقول القرية .

وذهب فهمي إلى باقى الأصدقاء ، وسرعان ما انضم إليهم نادر بوجه مربَّد . نظروا إليه فى تساؤل ، فقال :

- بالأمس ، ذهبت إلى الجمعية الزراعية ، فلم أجد ما أريده. فذهبت إلى الصيدلية البيطرية بديرب نجم ، ولم يكن معي ما يكفى من نقود ، فأكملت بنقود أعطاها لى المشرف على المقصف لشراء شيكولاته وبسكوت وشطائر .

تطلع الأصدقاء حولهم . كان كثير من التلاميذ قد أحاطوا بهم وفى أيديهم رشاشات مبيدات منزلية . أعطاهم فاروق ما بقى من فطر ، بعد التعفير الليلى .

وأشار لهم ليذهبوا إلى الطريق الزراعي .

قالت زهرة :

- لنذهب إلى مركز رعاية الشباب ، لعمل اللافتات التحذيرية ، لنضعها على بداية الطريق المسفلت .

وهم فى الطريق ، قالت شوقية :

- نسينا شيئا هاما ..

التفتوا جميعا إليها ، فى خوف . قالت :

- الجراد يفرز مادة لزجة ، إذا لامست جلد الإنسان ، أصابته بالأرتكاريا . وإذا كان الجرادة جائعة جداً ، تصنع ثقباً صغيراً فى الجلد ، بفمها الذى يشبه المنشار ، وتضع فيه حبوب لقاح ، تسبب حساسية .

سأل فهمي غاضبا :

- لماذا لم تخبرينا بالأمس .

ردت شوقية :

- لم أنتبه بسبب العجلة .

قال فاروق :

- فلنسرع بعمل لوحات لتحذير الناس ، وتعليقها فى القرية .

وصلوا إلى مركز رعاية الشباب . وعندما شرعوا فى عمل اللوحات الخاصة بالقرية أوقفتهم شوقية وقالت :

- لن يجدي هذا الآن .

تطلع الحضور إليها فى حيرة ، فاستمرت :

- ليحضر رمزي " التزسكل " ، ونستأجر مكبراً للصوت ، ويذهب أحدنا معه ، ليذيع فى شوارع القرية التحذير بعدم ملامسة الجراد .

قال رمزي :

- الرجل يؤجر المكبر فى الأفراح والمناسبات بعشرة جنيهات فى اليوم .

ومد يديه فى جيبى بنطلونه ، أخرج جنيهن من أحدهما ، وأخرج الثاني خاويا . فتحت شوقية كيسا صغيرا وأخرجت منه جنيها ونصفا . وأضاف رشدي جنيها ..

تبادلوا النظرات ، وقد خفض عينيه خجلاً من لم يستطع المساهمة .

التفت فهمي إلى نادر وسأله :

- كم بقى معك من نقود المقصف .

رد نادر بسرعة :

- لا .. يكفى ما صرفته .

عاجله فهمي :

- لا تتكلم كثيراً . كم بقى معك .

رد نادر :

- خمسة جنيهات .

قال فهمي :

- هاتها ..

وأخرج من جيبه نصف جنيه ، تتمة العشرة جنيهات .

أخذ فاروق النقود ، وذهب مع رمزي لإذاعة التحذير . وشرع فهمي فى كتابة لوحات إرشادية ليضعوها على الطريق المسفلت ، ونظرت شوقية فى ورقة الكمبيوتر ، خشية أن تكون قد أغفلت شيئا ، لم تقله عن الجراد .

فجأة رفعت شوقية رأسها ، وقالت :

- التخلص من الجراد .

سأل فهمي :

- ماذا تعنين ؟

ردت شوقية :

- لو تركنا الجراد المتساقط بفعل المبيدات قد يسبب بعض المشاكل .

قال فهمي :

- يانهار أسود .. نتخلص من الجراد ، فتموت القطط لو التهمته .. وتتكاثر الفئران .

ردت شوقية :

- مثلا .. !!

ترك فهمي أمر اللافتات لأحد الحاضرين ، وأسرع مع بعض التلاميذ إلى القرية . أحضر كل منهم فأسا ، ورافقهم بعض الفلاحين بفئوسهم . ذهبوا إلى الحقول . أخذ قسم منهم يصنع حفراً على حافة الصحراء ، وجمع الباقون الجراد المتساقط ، يضعونه فى الحفر، يشعلون فيه النار ، ويردمون عليه .

(٤)

زالت غمة الجراد . وذهب والد نادر معه إلى ناظر المدرسة الثانوية بالزقازيق ، ليقدم اعتذاراً عما فعله نادر ، وليسدد القيمة المطلوبة للمقصف .

قال ناظر المدرسة :

- الاعتذار مقبول . وأجّل التسديد حتى أراك فى المساء ، حيث أنك مدعو لحضور حفل تقيمه المدرسة .

وفى المساء ذهب نادر ووالده إلى المدرسة ، وكذا كافة الأصدقاء، وأعضاء مركز رعاية الشباب ، الذين تلقوا دعوات بالحضور ، وجاء بالإضافة إليهم جمع كبير من تلاميذ المدرسة وتلاميذ المدارس الأخرى وبعض أصدقائهم من فلاحي قريتهم الصغار والكبار ، كما لبى الدعوة رئيس مجلس محلي القرية . وأقيمت منصة فى فناء المدرسة ، جلس إليها الناظر والمدرسون وبعض الضيوف ، وبالقرب منهم الأصدقاء ، وزملاؤهم الذين اشتركوا معهم .

نهض الناظر ، واقترب من مكبر للصوت فى جانب من المنصة ، وقال:

- تلقينا رسالة تقدير من قسم مكافحة الجراد بالإسماعيلية ، أقرأ

عليكم بعض سطوره .

وأخذ يتلو من ورقة أمامه :

– كان للجهود التى قام بها الأصدقاء وزملاؤهم (وأشار إليهم) أكبر الأثر فى عدم إصابة حقول قريتهم بأي ضرر يذكر . كما أن الجراد الذى أفلت من القرية ، كان ضعيفاً ولم يعش طويلا .. وبذلك ساهم هؤلاء الأصدقاء ، ليس فى صد الخطر عن قريتهم فقط ، ولكن فى صد الخطر عن القرى الأخرى أيضا .

صفق الحضور .. واستمر الناظر قائلا :

– نعتز بهذا التقدير .. ونعلن لحضراتكم أننا فخورون بهؤلاء الأبناء ، وقد قيدنا أسماءهم في لوحة الشرف بالمدرسة .

صفق الحضور طويلاً هذه المرة ، وقد اعتراهم الحماس . عاود الناظر الحديث :

– وأُطمئن والد نادر ، أن المدرسة سددت من نقود النشاط ، ما أنفقه ابنه من نقود المقصف ..

هلل الأولاد والبنات .. ، وشاركهم فى ذلك الأصدقاء وزملاؤهم.

التفت الناظر إلى نادر ، وقال وهو يهدد بسبابة يمناه :

– حذارِ أن تفعلها ثانية ..

ضج الأولاد والبنات بالضحك .

واستطرد الناظر :

– ولقد اتفقت مع الأخوة الزملاء ، سواء فى مدرستنا أو المدارس الأخرى ، بعدم احتساب غياب لمن تخلف عن الحضور ، أثناء مكافحة الجراد .

عاود الأولاد والبنات التصفيق .. فقاطعهم الناظر محذراً :

– على ألا يتكرر ذلك .. وبهذه المناسبة يسر إدارة المدرسة أن

تتقدم بميداليات لتكريم أبنائنا الأعزاء .

تقدم أحد العاملين بالمدرسة ، حاملاً لوحاً خشبيا ، رُصت عليه علب صغيرة ، مبطنة بالقطيفة الحمراء والزرقاء ..

نادي أحد المدرسين أسماء الأصدقاء ، وقام الناظر بتقليدهم الميداليات الذهبية على صدورهم من العلب الحمراء .. وبعد ذلك نادي المدرس أسماء باقى المشتركين معهم ، فقلدهم الناظر الميداليات الفضية من العلب الزرقاء .

طلب رئيس المجلس المحلى بالقرية الكلمة . قال :

- نحن أيضا فخورون بأبناء قريتنا .. ونشكر كل من ساهم فى مكافحة الجراد ، وسوف نعوض من لحقت به خسارة ، ومن ساهم مادياً أو عينياً .

نهض العم اسكندر فى وسط الفناء :

- لا يمكن أن آخذ عوضاً عن شئ ساهمت به ..

وتجاوب معه ، أهالى القرية المساهمين .

حياهم باقى الحضور بالتصفيق . وفى ختام الحفل أعرب الناظر عن شكره لكل من حضر . نهض الأصدقاء وزملاؤهم . وبينما يسيرون فى أحد شوارع الزقازيق ، إلى جوار أحد محال الجيلاتي ، قال فهمي فجأة .

- الرهان .. !!

التفتوا جميعاً إلى زهرة ، وقال رشدي :

- خلصينا من هذه الحمي .

دخلت زهرة إلى المحل ، لتبتاع الجيلاتي . دخل نادر معها ، مبديا رغبته فى المساهمة . عاجله فهمي ضاحكا :

- من نقود المقصف .

تعالت ضحكاتهم .. ومدوا أيديهم لتناول الجيلاتي .

مفاجأة فى الحديقة

كانت صفاء فى زيارة لحديقة الحيوان بمدينة المنصورة . وقفت أمام طائر البشاروش . كان المكان مقسماً إلى قسمين ، كل قسم به مجموعة من الطيور .

سألت صفاء المشرف على الحديقة :

- لماذا قسمة الطيور وعددها قليل .

أجاب المشرف :

- نعزل الذكور عن الإناث .. لا نريد تزواج الأقارب ، حتى لا يكون النسل ضعيفاً .

تلفتت صفاء حولها . كانت الأزهار متفتحة ، وتنتشر رائحتها الزكية .

سألت :

- لماذا لا تحضرون أفرادا من حديقة الحيوان بالقاهرة .. ؟

رد المشرف :

- يمتون لها بصلة قرابة .

قالت صفاء :

- من حديقة الحيوان بالإسكندرية .

قال المشرف :

- أحضرنا ثلاثة ذكور من هناك .

وقادها إلى مكان مجاور ، به ثلاثة ذكور وثلاث إناث ، وقال .

- لم ينفع الأمر .. فطيور البشاروش لا تتودد إلى بعضها بعضاً ، ولا تتزاوج إلا فى جماعات .

أدركت صفاء صعوبة المشكل .. كيف يحضرون قطيعاً من طيور البشاروش ويطلقون طيور الحديقة معه ، فى المروج الخضراء ، وحيث الشجر ، لتكون على طبيعتها ويتم التزاوج .

تذكرت صفاء ، عندما ذهبت مع أمها ، عند مصفف شعر السيدات ، كانت المرايا أمامهما وخلفهما ، تعكس صورتها مع أمها فى الخلف إلى الأمام ، ثم إلى الخلف وإلى الأمام ، فى عدد لانهائى من الانعكاسات . ساعتها ضحكت وقالت لأمها : أنت ألف ماما .

لحظ المشرف ابتسامتها ، فسألها عن سرها . وعندما أسرت له بما تذكرته ، لمعت عيناه . وقبل أن تنصرف طلب منها الحضور إلى الحديقة مع من تحب من صديقاتها وأصدقائها ، قبيل الغروب ، ليريهم مفاجأة .

وفى الموعد المحدد حضرت صفاء ، مع صديقاتها وأصدقائها .

وفى ركن من الحديقة تكثر به الأشجار ، ثبت المشرف ومعاونوه بعض المرايا ، وضعوا بينها الطيور التى ستتزاوج . وإذا البشاروش يرى أمامه طيوراً كثيرة ، وأشجاراً كثيرة .

سار المشرف ومعه الأولاد والبنات وتطلعوا من بعيد .

أخذت طيور البشاروش تمرح وتجرى بسيقانها الطويلة الرفيعة ، وتقترب من بعضها بعضا ، وتمد رقابها الطويلة ، وتهز رؤوسها نشوى بمناقيرها المعقوفة ،وتفرد أجنحتها البيضاء ، تعبيراً عن فرحها .

قال المشرف لصفاء :

- أول مولود سنطلق عليه اسمك .

تزاحم الأولاد والبنات ، حوله ، وهم يصيحون :

- وأنا .. وأنا ..

الثعلب يجد عملا

الثلوج على مرمي البصر ، فى سهول التندرا . تعلو حينا ، وتنخفض حينا . والثعلب الثلجى ، فى حجم القط الكبير تقريباً ، يبحث عن فأر . يتشمم ما يظنه جحوراً . رأي فأراً ، فأسرع خلفه، لكنه سرعان ما زاغ منه .

اقترب الثعلب من شاطئ البحر ، بحثا عن بقايا من حيوانات البحر الميتة، يقتات بها ، فلم يجد شيئا .

اقترب الثعلب من خط سير الزحافات ، التى تجرها الكلاب . تشبث بقوائمه فى الثلج ، تغطيها شعيرات من أسفلها ، فتساعدها على عدم التزحلق . لمح راكبى الزحافات من الصيادين ، وعلى أكتافهم البنادق . ابتعد قليلا ، حتى لا يجذب انتباهم .

قال الثعلب فى نفسه : إذا اقتربت من الزحافات بحثا عن غذاء قتلتنى بنادق الصيادين ، وإذا ابتعدت قتلنى الجوع .. ماذا أفعل.. ؟

توقفت الزحافات ، فتوارى الثعلب خلف نتوء ثلجي ، مراقباً . ناول الصيادون الكلاب قطع لحم مجمدة . سال لعاب الثعلب ، وقد خمن أنها من لحم حيوان الرنة اللذيذ ، أو من لحم عجول البحر الألذ .. عزم على مغافلة الحراس ، وخطف قطعة من اللحم .

وتساءل الثعلب : ولكن .. ماذا لو انتبه لى أحد الحراس . إذا فقدت حياتي ، لا أدرى ماذا ستفعل وليفتى التى تنتظرني مع صغارها ؟

أحس الثعلب بالغيرة من الكلاب ، تجد ما تأكله ، ولا تهيم على وجوهها مثله ، كل يوم بحثا عن الطعام ، وحتى بيض الإوز ، الذى كان غنيمة سهلة له ، لم يعد كذلك . زاد حذر الإوز وأصبح يصيح مطارداً إياه ، ويجذب بصياحه باقى الطيور ، فلا يحصل على بيضة واحدة ، إذا حصل ، إلا بصعوبة ، وهي لا تكفيه ، أو تكفى الصغار وأمها .

تأهبت الكلاب لجر الزحافات . اقترب الثعلب من الصيادين مواجهاً ، فأدركوا أنه لا ينوى شراً . عرض عليهم العمل فى جر الزحافات . تداول الصيادون فى الأمر . وافقوا حتى يأمنوا سرقته لمؤنهم . أعطوه بعضا من اللحم . استأذنهم أن يعطي جزءً منه لذويه ، ويلحق بهم قبل أن يتحركوا .

اعملوا حساب القطة

كان من عادة خلود ، أن تنتظر أباها على السلم ، ترحب به ، عند عودته من العمل بعد الظهر . وعندما فردت ذراعيها لتحضنه ، امتدت ساق أبيها ، وأطاحت بالقطة ، التى كانت تتمسح بخلود ، وتشاركها الترحيب بأبيها .

لحظت خلود ، تبعثر القمامة من صفيحتها ، على بسطة السلم. أدركت سر غضب أبيها على القطة . كانت القطة صديقتها ، ولم تعتد منها ما يسوء ، تفحصت القمامة لتعرف سر عبث صديقتها بها . لحظت عظام دجاجة ، ليس بها أي نسيرة لحم ، أو جلد . عرفت أن القطة هي التى فعلت ذلك .

تناولوا أرنب فى الغداء ، هذا اليوم . جمعت الأم فضلات الطعام، وقبل أن تلقى بها فى صفيحة القمامة ، أخذت خلود منها عظام الأرنب ووضعته على ورقة ، إلى جانب صفيحة القمامة .

وفى اليوم التالى ، حين حضر والد خلود ، لحظ العظام إلى جوار

الصفيحة ، وقد نظفت تماما من أية نسيرة ، لكن القمامة لم تبعثر .
أسرعت خلود وألقت العظام فى الصفيحة .

وبينما هم على الغداء ، لحظ الأب الأولاد ، يمصمصون ما يجدونه من عظام فى حساء اللحم ، فقال :

- اعملوا حساب القطة .

ضحكوا جميعا ، وقالت خلود :

- أبى .. ما كان لك أن تطيح بالقطة .

لون قلب الإنسان

كانت صوفى وأحمد ، عائدين من مدرستهما الإعدادية ساعة العصارى . سارا على شاطئ النيل ، يروحان عن نفسيهما . لمحا عربة كارو ، عليها حمل مغطي بالخيش ، برزت منه بعض من سعف النخيل .

قالت صوفى :

- غدا أحد الخوص .

تذكر أحمد ، منظر الجالسين بجوار الكنيسة ، القريبة من منزلهم، وهم يجدلون أوراق سعف النخيل ، فى عرض الإصبع ، ولونها أبيض مشرب بسمرة خفيفة ، تمتد على أحد جانبيها خطوط خضراء رفيعة ، مختلفة الدرجات . يفرشون الرصيف بما جدلوه . أسبتة ، ومراوح مختلفة الأحجام ، ومستطيلات ومربعات كبيرة وصغيرة .

قال أحمد :

- سأشترى لك بعض السعف .

ردت صوفى ضاحكة :

- ترشوني لأعزمك فى العيد الأسبوع القادم .

ضحك أحمد . وحث الخطى .

ما ان اقتربا من الجالس فى مقدمة العربة ، وأبديا رغبتهما فى شراء بعض السعف ، حتى تغيرت سحنة الرجل ، وأنكر أن معه شيئا . ونزل عن العربة ، وأحكم الغطاء على الحمل .

ابتعدت العربة ، ونظرت صوفى إلى أحمد فى عجب .

قال أحمد :

هل لاحظتي مدي ارتباك الرجل .

هزت صوفى رأسها بالإيجاب ، وعقب أحمد :

- وكأنه ينقل شيئا ممنوعا .

صاحت صوفى :

- وجدتها .. !

ظنها أحمد تسخر منه ، كما اعتادت أن تفعل فى الفصل ، عندما يتعذر عليه حل مسألة رياضية ، وتساعده فى حلها .

قالت صوفى :

- هناك سر

ضرب أحمد كفا بكف وقال :

- يا بنتي نعرف أن هناك سرا .. لكن ما هو .. ؟!

قالت صوفى :

- هو بالتأكيد ذاهب ناحية الكنيسة ، ليبيع السعف هناك .. فلنسرع وننتظره عند الكنيسة .. وسوف نكتشف السر .

أسرعا الخطي ، وبعد قليل توقف أحمد وقال :

- لم تجديها .

ضحكت صوفى ، وقالت متمألسة :

- ولماذا .. ؟!

رد أحمد

- قد لا يكون ذاهبا نحو الكنيسة .. ؟!

فكرت صوفى قليلا .. وصاحت :

- وجدتها .. !!

سارع أحمد بالقول :

- ثانية .. !!

قالت صوفى :

- أنت الذى وجدها .. لنسر وراء العربة .

سارا وراء العربة ، التى أخذت طريقها بمحاذاة النيل ، ثم انحرفت يمينا لتعبر كوبرى دمياط القديم . واتجهت إلى منطقة غير مطروقة خلف محطة السكة الحديدية . وبعد قليل حضرت عربات كارو أخرى ، من اتجاه القرى التى تسبق دمياط على الطريق السريع. و جاءت عربة نقل ، نزل منها عاملان ، أخذا ينقلان إلى العربة ما على عربات الكارو .

قالت صوفى فى دهشة :

- هل رأيت .. ؟!

رد أحمد :

- قلوب النخيل .. !!

قالت صوفى :

- ممنوع قطعها .

فكر أحمد : القلوب أوراقها أكثر نعومة ونضارة . التفت إلى صوفى وسأل :

- أين ستذهب عربة النقل .

ردت صوفى :

- وكيف أعرف .. ؟!

اقترب أحمد من أحد الحمالين من الجهة الأخرى من العربة ، محاذرا أن يراه سائقو عربات الكارو ، الذين جلسوا على الرصيف المقابل فى الجهة الأخرى . وعلم منه أن العربة فى طريقها إلى الميناء .

ابتعدت صوفى وأحمد عن العربة ، ولحظ أحمد وجوم صوفى ، فقال :

- لا تزعلى .. هيا بنا إلى إحدي القرى القريبة ، نحضر ما تريدين من سعف ، ونشترى بلحا أيضا .

قالت صوفى :

- هل نذهب لنأكل البلح ، ونترك العربة تذهب بما حلمت .

قال أحمد :

- وماذا بيدنا .. ؟!

قالت صوفى :

- نبلغ الزراعة ..

فكر أحمد قليلا .. وهز رأسه موافقا .. أوقف عربة أجرة ، وطلب من السائق أن يسرع بهما إلى مديرية الزراعة ، وفى الاستعلامات ، أبلغا أحد الموظفين بما رأياه ، فأخذهما إلى أحد المسئولين . سمع ما قصاه عليه . ضرب بقبضة إحدي يديه فوق مكتبه ، وقال :

- من أجل حفنة دولارات ، يتلفون النخيل .

استدعي المسئول أحد مساعديه ، وطلب منه أن يسرع إلى مديرية التموين لضبط هذه العربة ، وأكد عليه أن المسموح بقطعه من أي نخلة هو سعفة أو اثنتين فقط . انصرف المساعد مسرعاً ، والتفت المسئول إليهما وشكرهما . وعندما هما بالانصراف استوقفهما وقال :

- عندي هدية لكما .

اصطحبهما إلى فناء المديرية ، حيث بعض النخيل السامق . طلب من أحد العمال .. أن يحضر لهما بعضا من السعف ، وأن يعطيهما بعض البلح .

قال أحمد :

- السعف لك ، والبلح لى .

قالت صوفى :

- تضحك علىّ بالخوص ، وتأكل أنت البلح .

رد أحمد :

- نقتسم

قالت صوفى :

- لا

سأل أحمد :

- ماذا يرضيك .. ؟!

ردت صوفى :

- السعف لى ، والبلح مناصفة .

علق أحمد ضاحكا :

- دائما تفوزين .

خرجا من المديرية ، أخذا طريقهما على النيل ، وصوفى تحثه على الإسراع وهي تتقاذف على قدميها ، تمد اليمني وتؤخر اليسرى ثم تفعل العكس ، وأحمد يحاول مجاراتها ، بينما كانت تنشد مماوعته ذاكرتها من تراتيل الكنيسة .

البلحة لونها أحمر .. دم سال زمان

على أرضنا كان أجمل هدية .. للفادي الرحمن

طعمها حلو مسكر .. دي حلاوة الإيمان

داخلها أبيض منور .. لون قلب الإنسان

العربي وروكسانا

(١)

في أحد أيام شتاء عام ١٧٢٥ ، في حظيرة قصر مولاى إسماعيل ملك المغرب ، كان مهر جميل ينشط جسده، بوثبات خفيفة ، استعدادا للنزهة . وأخذ يمني نفسه بالاستمتاع بالمروج الخضراء ، والأشجار المورقة. ويستشعر دفء الشمس الهينة .

ونفخ بمنخاريه ، يطرد هواء الليل الراكد فى الحظيرة ، أملا بعد قليل ، فى هواء البكور المنعش .

جذب السائس مزلاج الباب ، تقدم إلى الداخل وبرفقته رجل غريب . انقبض قلب المهر ، وحين أشار السائس إلى المهر ، علت وجهه الحيرة .

بعد قليل ، علم المهر أن مولاى اسماعيل أهداه ، إلى صديقه لويس الخامس عشر ملك فرنسا .

حزن المهر ، واغرورقت عيناه بالدموع ، غير مصدق . أن يفارق فجأة أصدقاءه من الخيل ، الذين شب وترعرع معهم . وغير مصدق أن يغادر البلد الذى جرى ولعب على أرضه ، وشرب من ماء أنهاره ، وتسكره رائحة عشبه ، وتريح نفسه رؤية أزهاره البديعة .

وبان الأسى على وجوه أصدقائه ، وحاولوا ألا يظهروا شيئا مما يدور فى نفوسهم ، وقالوا له : بالتأكيد ستجد ترحابا وبسطة فى العيش ، عند الملك لويس ، وسرعان ما تكتسب أصدقاءً جددا . وعليك أن تتجمل

بالصبر .

وعندما حانت ساعة الرحيل ، علا الوجوم وجوههم . وما أن خرج المهر ، حتى انهمرت الدموع من عيونهم .

(٢)

وصل المهر الجميل إلى حظيرة قصر الملك لويس . حاول عدم الاستسلام لذكرياته . وتعجل اليوم الذى يلقاه فيه الملك . لكن الأيام مرت ، ولم يستدعه الملك ، أو يحضر لرؤيته .

أطلت الذكريات من جديد ، صعب عليه حاله . وذات ليلة فتح السائس باب الحظيرة وأخذه إلى الخارج . دق قلب المهر بعنف ، وقال فى نفسه : أخيرا تذكرنى الملك . ورجا أن يحوز رضاه .

أخذ المهر يعد نفسه للقاء الملك ، ويفكر فيما قد يطلب منه ، ليسارع إلى تلبيته ، رفع رأسه فجأة ، فطالعته شوارع باريس المظلمة .حار المهر وتساءل : إلى أين يمضى بى السائس .. ؟! التقى السائس بائع ماء . نقده البائع بضعة قطع معدنية ، وعلق المهر فى عربته .

أحس المهر الجميل بإهانة شديدة ، ولم يستطع أن يفهم سببا لهذا السلوك . دمعت عيناه بحرقة ، وحدث نفسه : أنا العربى الأصيل .. أجر عربة ماء .. أي هوان .. وأية سخرية .. !!

توقف عن جر العربة .

برطم البائع بكلمات لم يفهمها المهر ، وتسمر فى مكانه . ضربه البائع بالسوط ، حتى أدمي جسده .

وتوالت الأيام ..

كبر المهر وأصبح يافعاً ، ولم ينقطع يوماً عن

التفكير ، فى طريقة تنجيه من هذا البلاء . وذات يوم التقاه رجل انجليزى . فى أحد شوارع باريس ، أثرت فى نفسه الخشونة التى يُعامل بها ، فاشتراه وعاد به إلى بلاده ، ولم تكن له به حاجة . فأهداه لصديق له صاحب حانة فى لندن . ووضعه هذا فى مزرعته ، والحصان فى عجب من أمره .. بعد أن كان يُعد كمتسابق لا يشق له غبار ، ها هي الظروف تنتهي به إلى مزرعة بائع خمور .

(٣)

كان الماركيز جودولفن فى زيارة لمزرعة صديقه بائع الخمور . وقعت عيناه على الحصان الجميل ، وكان قد استعاد صحته ، بعد الهزال والضعف ، اللذين أصيب بهما فى باريس . لفتت نظره لمعة الذكاء فى عينيه ، وأعجبته وسامته . ووبره الأسود اللامع .

لم يطق الماركيز صبرا واشترى الحصان . أخذه إلى مزرعته وأعطاه اسمه مضيفا إليه " العربى ". وعرف العربى جودولفن من زملائه فى المزرعة ، أن الماركيز يهتم بالحصان الإنجليزي المسمى : العداء الخاطف . وهو حصان يجيد العدو فى السباق القصير ، الذى لا تتجاوز مسافته الميل .وأنه يستولده ، ليحصل على أبناء يجيدون العدو فى السباقات المختلفة . وتساءل العربى جودولفن: لماذا اشتراني الماركيز ، ولست من النوع الذى يهتم به . هل من المعقول أن يشتريني دون فائدة ؟! .

وتصاعد القلق فى نفسه . خشية أن يستخدمه الماركيز فى عمل لا يليق به . كما حدث له فى

باريس . ولحظت زميلته روكسانا قلقه . فظنت مرجع ذلك إلى إحساسه بالغربة وسط الخيل الإنجليزية شاركته طعامه . وتجاذبت معه أطراف الحديث . لتخفف عنه .

وبينما هو فى قلقه . عينه الماركيز . مساعداً لحصان انجليزي اسمه هوب جوبلن ، يتزاوج مع الأفراس التي يود استيلادها .

وفكر العربى جودولفن .. إذا تزاوجت مع فرس انجليزية سيجمع الوليد بين صفتينا .. السرعة الخاطفة منها .. والصبر فى العدو مسافات طويلة منى .

لكن هذا التزاوج لم يتحقق ، وانحصر دوره ، فى استمالة الفرس . التى لا تميل إلى هوب جوبلن . وعندما تطمئن إلى قربه منها ، يحضرون هوب جوبلن بسرعة . ليتزاوج معها قبل أن تنتبه للأمر .

لم ترتح نفس العربى جودولفن لما يحدث . وشكا لصديقته روكسانا .

أخبرته روكسانا أنها تعاني أيضا من وضع مشابه. فهي كما يعلم وبرها رمادي ناعم . تثير شغف كثير من الأحصنه . وعندما يهواها حصان . ويطمئن إليها . ودون أن يحس . يسحبوها . ويحضرون له الفرس التى يودون استيلادها منه .

وأن هذا يؤلمها جدا ..

أخذ العربى جود ولفن يسرى عن روكسانا . ويحكي لها ما قاساه منذ ترك وطنه .

(٤)

ذات صباح أحضروا الحصان هوب جوبلن والفرس روكسانا ، ليتزاوجا .. ثار العربى جود ولفن ، وأفلت من سائسه ، وهجم على الحصان هوب جوبلن .

أصيب الماركيز بالدهشة ، وأدرك أنه أمام حصان ذى جموح وكبرياء ، وأن مثله يبشر بذرية جيدة ، إذ تزاوج مع من تهواها نفسه .

أمر الماركيز بتزاوجه من روكسانا .

ووضعت روكسانا ابنها البكر . وماتت لعسر فى الولادة .

(٥)

توالت الأيام ، ولم يستطع العربى جودولفن أن ينسى من أحبته وأحبها ، ومن استمعت إلى شكواه ، وخففت عنه .

لكن رؤية ابنه وهو ينمو ، خففت عن نفسه قليلا مما يحزنها . وعندما ذهب ابنه إلى السباقات المختلفة ، وحقق الفوز تلو الفوز . تمنى العربى جودولفن لو كانت روكسانا حية ، لتشاطره الفخر بابنهما .

وأخذوا فى المزرعة يستولدون الابن ..

سرح العربى جودولفن .. ورأى فى خياله . أحفادد تجرى فى السباقات المختلفة . داخل بريطانيا وخارجها ..

شعشعت نفسه بالفرح ..

وعرفت الابتسامة أخيرا . طريقها . إلى وجه الحصان العربي العجوز .

الضحك

فى فسحة الظهيرة ، بمدرسة الزراعة ، دخلت فتحية وأشرف إلى الصوبة . جلسا متقاربين ، وأخذا يتبادلان الحديث . استغرقهما ما يقولانه ، ولم ينتبها إلا على دخول المشرف الاجتماعي . تطلع إليهما غاضبا ، وقال:

– ماذا تفعلان وحدكما ..؟!

ارتبكا ، وحارا فى الرد . وزاد من ارتباكهما ، سماعهما زيطة التلميذات والتلاميذ حول الصوبة . وخمنا أن أحداً لحظ خلوتهما ، فأبلغ المشرف . قالت فتحية :

– نفتح الورد .

زاد غضب المشرف ، وقال :

– نعم يا ماما .. !!

وكانت زيطة الأولاد قد وصلت إلى مدرس الزراعة فى حديقة المدرسة . حضر على عجل . أخبره المشرف بالموقف ، وبما قالته

فتحية . أغرق المدرس فى الضحك ، وجذب المشرف إلى الخارج . وهو يقول :

- صدقها .. هما حقا يجعلان الورد يتفتح .

نظر إليه المشرف فى دهشة ، وقال:

- أنت أيضا .. !!

حثه المدرس على المسير ، وهو يطلب منه الصبر ..

فى الصوبة يتعهدون بعض نباتات الزينة بالرعاية . هذه أوراقها مخروطية ، وأخرى عريضة . وتلك فروعها منسابة . وأخرى ظليلة . ويساعد التلاميذ والتلميذات فى الرعاية ، بقطف الحشائش من تربة الأُصص ، ومسح التراب عن أوراق النباتات . وريها ، وتسميدها .

لحظت فتحية أصيصين من خمسة أصص ، زرعتها معا بنبات من نوع واحد ، أزهرا أسرع من الباقى . نقلت ملاحظتها للمدرس. واستفسرت منه ، إذا كان قد وضع سماداً ، فى هذين الأصيصين . ولم يضع فى الأصص الأخرى . أوضح المدرس أن تربة الأصص الخمسة ، ليس بها أي سماد أو أملاح معدنية ، وتساءل :

- ربما أشعة الشمس ؟

تطلع إلى سقف الصوبة ، فوق الأصيصين والأصص الأخرى . كان السقف من مربعات صغيرة ، من خشب البغدالى الرفيع ، تسللت فوقه فروع نباتات متسلقة ، تجعل المكان ظليلاً ، ولا تنفذ أشعة

الشمس إلا من فجوات صغيرة ، تخفف من حدة الأشعة ، فى وسط النهار .

قالت فتحية :

- راقبت حركة الشمس على مدار اليوم ، وكنت أحضر بعد كل حصة .. وجدت أن وقت تعرض الأصيصين للأشعة يساوي تقريبا تعرض الأصص الأخرى له .

تأمل المدرس الأصص الخمسة . كان الأصيصان الأسرع ازهاراً ، فى جانب معزول عن باقى الصوبة .

تساءل المدرس :

- هل هو المكان .. لكن كيف .. ؟!

انتبهت فتحية إلى أمرٍ ، ترددت فى الإفضاء به . لحظ المدرس ترددها . قال مشجعا :

- لا تخشى شيئا .

قالت فتحية :

- فى هذا المكان المعزول ، نظل هنا ، بعض الأصدقاء والصديقات ، بعد حصة النبات ، نسمر .. وعادة ما نضحك من هفوة حدثت من أحدنا ، أو مزحة تدلى بها تلميذة .

سأل الأستاذ :

- وماذا فى ذلك . ؟

ردت فتحية :

- ألم تقل أن النبات يتأثر بما حوله .

وتذكر ا لمدرس بحثا ، قرأه ، عن تأثر النبات بحال الإنسان القريب منه . إذا زعق غاضبا ، اهتز النبات واضطربت عملية امتصاص الغذاء ، وإذا ضحك تفتحت أوراق النبات .

قال المدرس ضاحكا :

- من الآن ، لا تمزحوا ، ولا تضحكوا ، إلا وسط الصوبة .

وقالت فتحية :

- لماذا لا ندعوا الناس للحب والمرح .. في الغيطان ومزارع الفاكهة .. ؟!

رد المدرس في دهشة :

- يا لها من فكرة ..

وعقبت فتحية :

- أي حبات كبيرة ، ومسكرة ، من الخوخ والتفاح والبرتقال . وباقي الفواكه ، سوف نرى .. !!

صدر للمؤلف

- حلوان شامة . قصة طويلة . ٣ طبعات . أدب الجماهير . فبراير ١٩٨٣ وأكتوبر ١٩٩١ . رؤيا بالإسكندرية مع دار آزال ببيروت تحت اسم (حكاية الأمير سيف والأميرة شامة) . فبراير ١٩٩٠ .
- أمن الذئاب . قصة طويلة . رؤيا . نوفمبر ١٩٨٨ .
- تعظيم سلام . قصص . طبعتان . أدب الجماهير . يونيو ١٩٨٩ . إقليم شرق الدلتا الثقافي . مارس ١٩٩٥.
- الأسد ينظر في المرآة . قصص . الحقيقة . فبراير ١٩٩٠ .
- شجرة الدر تتلقي الأمانة . رواية . طبعتان . أدب الجماهير . مايو ١٩٩٠ . هيئة الكتاب ١٩٩٥ .
- بنات رشد . مسرحية . هيئة الكتاب . نوفمبر ١٩٩٠ .
- شرد رئيسة البنائين . قصص . طبعتان . أدب الجماهير . أغسطس ١٩٩١ . يافا للدراسات والأبحاث ١٩٩٢ .
- براءة مارية القبطية . قصة طويلة . أدب الجماهير . سبتمبر ١٩٩٣ .
- مجلس الملكات . قصص . قطر الندي . أغسطس ١٩٩٦ .
- زفاف تحت الماء . قصص . طبعتان . كتاب الهلال . أبريل ١٩٩٩ وتحت اسم (طيور البجع تضحك) . إقليم شرق الدلتا الثقافي . مايو ١٩٩٨ .
- النورس اللص . قصص . قطر الندي . أبريل ٢٠٠٢ .
- الشمبانزى يمص القصب . قصص . ثقافة الدقهلية . مايو ٢٠٠٢ .
- البلبل والسمكة الفضية . قصص . أدب الجماهير . يونيو ٢٠٠٥ .
- رشق البنات بالبلح . قصص . إقليم شرق الدلتا الثقافى – أبريل ٢٠٠٧

المحتوى

رقم الإيداع بدار الكتب
٢٠٠٧ / ١١٩٠٧
الترقيم الدولى I.S.B.N
977-374-306-3